2014-06-Y-0003-1060
ISBN 978-975-19-6269-0



Diyanet İşleri Başkanlığının Hediyesidir. Para ile satılmaz.

"Bandrol Uygulamasına İlişkin Usul ve Esaslar Hakkında Yönetmeliğin 5'inci Maddesinin İkinci Fıkrası Çerçevesinde Bandrol Taşıması Zorunlu Değildir."

بسم الله الرحمن الرحيم





المسلمون في البرازيل

دراسة مخطوطة

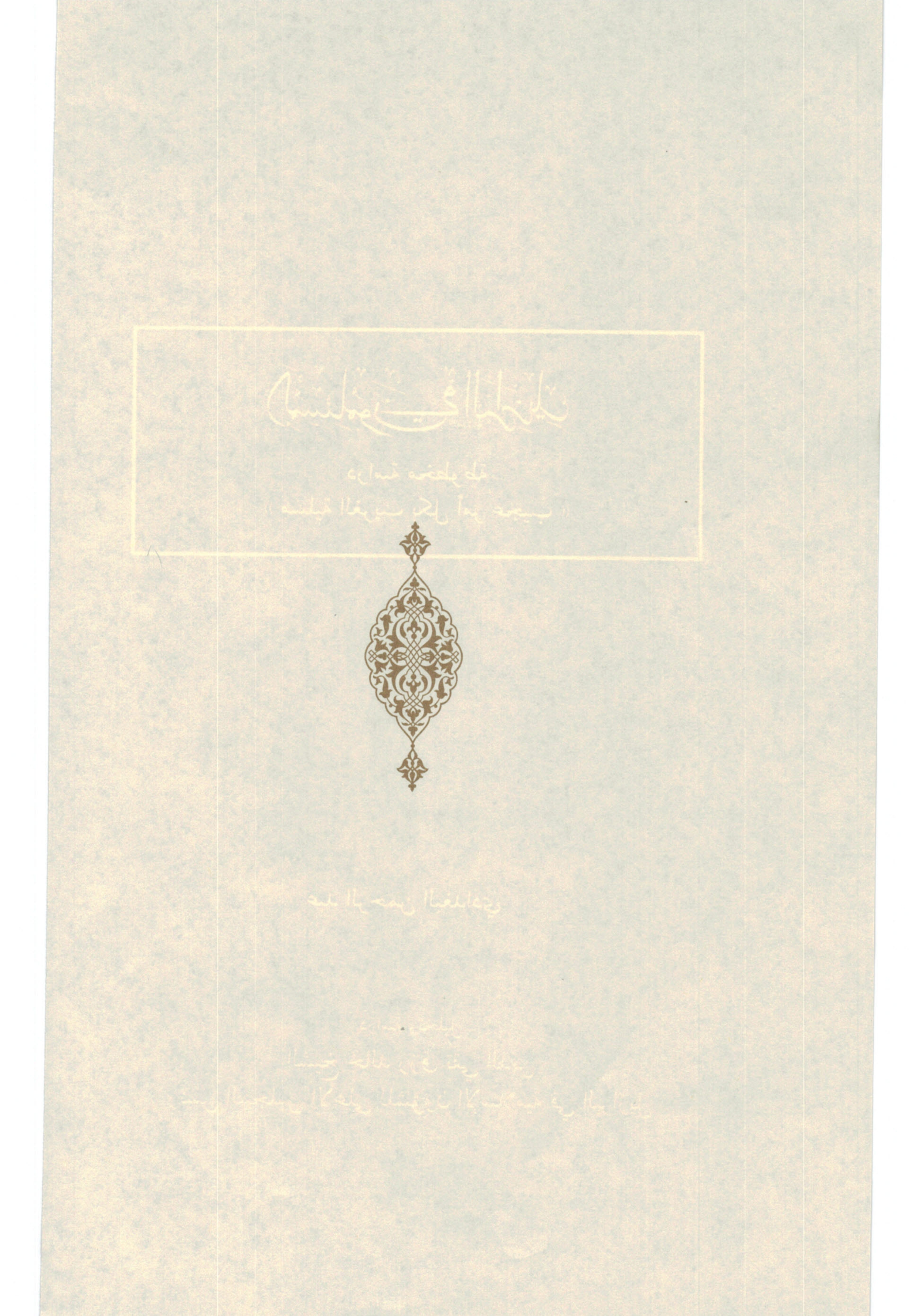
« مسلية الغريب بكل أمر عجيب »

عبد الرحمن البغدادي

دراسة وتحليل

الشيخ خالد رزق تقي الدين

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في البرازيل



كلمة معالي الدكتور محمد كورماز
رئيس الشؤون الدينية بدولة تركيا
تقديم مدونة الرحلة الى البرازيـــــــــــــل

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد شهدت مكة المكرمة بزوغ فجر الاسلام واتخذ هذا الدين المبين طابعا حيويا يشع النور في المدينة المنورة، وأصغى عشرات الألوف من المسلمين لخطبة الوداع التي أدلى بها الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، وجند الصحابة الكرام الذين طبعوا في أذهانهم كافة دقائق الحياة المثالية للمصطفى عليه الصلاة والسلام أنفسهم لنشر رسالة الإسلام في كافة أرجاء المعمورة بعد انتقاله لرحمة بارئه عز وجل، إن شبه الجزيرة العربية هي مرقد عشرة آلاف من هؤلاء الصحابة الكرام على وجه التقريب في حين أن قبور مئات الآلاف منهم تقع في مختلف أنحاء هذه البسيطة، كما سار التابعون ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين في نهج الصحابة وبذلوا أقصى جهودهم لرفع راية الإسلام أينما وجدوا، لقد أسهم هذا الدين الحنيف في تنشئة العلماء والصالحين والأئمة والفقهاء المتمرسين والمتمكنين بمنتهى البركة والوفرة، حيث قضى هؤلاء جل أوقاتهم في شرح أسس الدين الحنيف وإيضاح مفاهيمه الجوهرية مثل الحق والحقيقة والعدالة والأخلاق والاستقامة والعفة في أي مكان استوطنوه أو تمكنوا من زيارته وأفلحوا في منح الانسانية أفضل انجازات الثقافة والحضارة الاسلامية، ولو أسعفنا الحظ لزيارة أي مكان كان في هذا العالم يمتاز باحتضان بعض آثار الثقافة والحضارة الاسلامية أو أقلية بسيطة تسعى للحفاظ على كينونتها الاسلامية

لوجدنا أن هذه الأقلية تفتخر بالانتساب لعالم اسلامي فذ أو أنها تتلقى تعاليم الدين الحنيف منه، ولهذا السبب يتبادر إلى أذهاننا اسم العلامة أبو بكر أفندي لدى ذكر المسلمين في جنوب أفريقيا واسم الشيخ عبد الرشيد أفندي لدى ذكر اخوانهم في اليابان واسم الشيخ عبد الرحمن أفندي لدى الحديث عن المسلمين في البرازيل.

لقد بدأت رئاسة الشؤون الدينية التركية اعتبارا من عام 1960 بتقديم الخدمات الدينية للأخوة المسلمين في بلدان المهجر استجابة لطلباتهم العاجلة في هذا المجال، واستهدفت في بداية الأمر المواطنين الأتراك الذين هاجروا الى بعض البلدان الأوروبية ولبت في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي الطلبات المماثلة الواردة من بلدان آسيا الوسطى وشبه جزيرة البلقان وبدأت خلال السنوات القليلة الماضية بالاستجابة للطلبات الحثيثة لبلدان الشرق الأقصى والقارة الأفريقية، وأخيرا وجدت نفسها ملزمة بتقديم الخدمات الدينية لبلدان أمريكا اللاتينية عندما تنامت الطلبات الواردة من الأخوة المسلمين القاطنين في تلك البلدان، وبهذه الطريقة تمكنت الرئاسة من تأسيس وتعزيز روابط الأخوة مع المسلمين في أمريكا الجنوبية، وإنني على أتم الثقة بأن قمة الزعماء الدينيين في بلدان أمريكا اللاتينية التي ستعقد في اسطنبول في أواخر عام 2014 الحالي سوف تسهم في مزيد تدعيم وتعزيز أواصر تلك الأخوة، وعلى الرغم من أن تاريخ علاقاتنا مع إخواننا المسلمين في أمريكا اللاتينية يعود في الواقع حتى العهد العثماني إلا أن العلاقات المذكورة اكتسبت المزيد من الحيوية والنشاط بالزيارة التي قام بها سماحة الشيخ خالد تقي الدين الذي يمثل المسلمين في البرازيل لرئاسة الشؤون الدينية في العام الحالي، ويجدر هنا الإشارة الى

أن سماحته قام بزيارة خاطفة لمدينة اسطنبول قبل وصوله الى أنقرة حيث تفقد مكتبة السليمانية بغية الحصول على نسخة من مدونة الرحلة إلى البرازيل بقلم الشيخ عبد الرحمن البغدادي والإشارة إبان زيارته للرئاسة بأن إخواننا المسلمين في البرازيل يعتزون بالانتساب للعلامة عبد الرحمن البغدادي الذي سافر من اسطنبول الى البرازيل إبان العهد العثماني، وفي الواقع أسهمت تلك المعلومات التي قدمها سماحة الشيخ تقي الدين في إضفاء بعد جديد على العلاقات التي تربطنا مع إخوتنا في البرازيل، لقد قرأت المدونة المذكورة من ألفها الى يائها بمنتهى الاندفاع والنخوة وأيقنت بأن قيام عالم مسلم بزيارة غير متوقعة لبلد مثل البرازيل قبل 150 عاما تقريبا وسعيه الحثيث لتفقيه المسلمين فيها بأمور دينهم ليس إلا لطف من ألطاف الله عز وجل.

ولا يسعني في هذا الاطار إلا وأن أشكر كل من أسهم في ترجمة تلك المدونة الى اللغات التركية والعربية والعثمانية والاسبانية و البرتغالية وتدقيقها وتنضيدها وإعدادها للطباعة وأرجو من الله عز وجل أن تقدم هذه المدونة للعالم نظرة جديدة من زاوية التاريخ الاسلامي.

الأستاذ الدكتور محمد كورماز

رئيس الشؤون الدينية التركية



شكر

الحمد لله الكبير المتعال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، شكري أولا لله تبارك وتعالى أن أنعم على بنعمة الإسلام ودراسة شريعته وحمل لواء دعوته في بلاد أمريكا اللاتينية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يشكر الله من لم يشكر الناس » أتوجه بعد شكر الله وحمده أولا، بخالص الشكر لجميع من ساهموا معي حتى يخرج هذا العمل إلى النور، بما فيه من خيرات وخبرات، تنفع أهل الدعوة إلى الله، مقدما والدي الشريف رزق السيد تقي الدين رحمه الله رحمة واسعة، الذي رباني على حب كتاب الله وتعاليم الإسلام وحب الصالحين، وأمي التي تعبت وسهرت وتحملت الكثير من أجل أن تربينا على الصلاة والأخلاق، وتحملت ألم فراقي من أجل العلم وتبليغ رسالة الإسلام في تلك الديار، وصاحبتني صباح مساء ببركة دعواتها الصالحات.

وأتقدم بكامل الشكر والتقدير إلى رئاسة الشؤون الدينية بدولة تركيا، ممثلة برئيسها معالي الدكتور محمد كورماز الذي أحاط الدراسة باهتمامه، لما علم من أهميتها التاريخية، واحتوائها على الدروس الدعوية، وشرح لما كانت تمثله دار الخلافة العثمانية من قوة للمسلمين وجمع لكلمتهم ومتابعة لأمورهم، فأمر بتبني هذا المشروع وطباعة هذا الكتاب باللغتين

العربية والبرتغالية لكي يكون مرجعا هاما لتاريخ المسلمين بأمريكا اللاتينية، وشاهدا على حجم العلاقة بين دولة البرازيل والخلافة العثمانية.

وفي النهاية لايسعني إلا شكر جميع من ساهم معي بالنصح والإرشاد والتوجيه وتيسير الأمور حتى يخرج هذا العمل، أخص منهم الأستاذ أنس والأستاذة ياسمين، والحمد لله في الأولى والآخرة.

مؤلف الكتاب

الشريف الشيخ خالد رزق السيد تقي الدين والذي ينتهي نسبه للحسين بن علي رضي الله عنه، ولد بمدينة بلطيم محافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية، وحصل على الإجازة العالية من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1986، وتتلمذ على يد ثلة من كبار العلماء منهم الشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ محمود عبد الوهاب فايد، وحضر دروسا لكبار علماء الحرم المدني الشيخ عمر فلاته، والشيخ حماد الأنصاري، والشيخ محمدعطية سالم.

بعد تخرجه توجه إلى أمريكا اللاتينية وساهم في بدايات الصحوة الإسلامية في تلك القارة، حيث أسس في البرازيل جمعية علي بن أبي طالب الخيرية الإسلامية ومسسجدها، ثم انتقل إلى دولة « البارجواي »، حيث أسس العمل الإسلامي بها، مساهما في تأسيس أول مسجد بمدينة « سيداي ديل إيستي » مسجد التوبة، والمركز الإسلامي بالعاصمة « أسنسيون »، كما أسس أول قناة عربية في منطقة الحدود الثلاثية « البرازيل - البارجواي - الأرجنتين »، وأسس أول موقع على شبكة الإنترنت باللغة البرتغالية 1998م، وانتقل عام 2000م لدولة البرازيل ليعمل إماما للجالية المسلمة بمدينة « غواروليوس »، وقام على مدار 25 عاما بإمامة وإدارة الكثير من المساجد في أمريكا اللاتينة، وتولى إدارة الشؤون الإسلامية باتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل على مدار 4 سنوات، إستطاع خلالها أن

يؤسس لعمل احترافي للدعوة إلى الإسلام في بلاد أمريكا اللاتينية من خلال مشروع « إعرف الإسلام »، وساهم في تأسيس المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل ويتفرغ حاليا لرئاسة وهو تجمع يضم كل علماء ومشايخ أهل السنة والجماعة في البرازيل.

مقدمة

مخطوطة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الدمشقي « مسلية الغريب بكل أمر عجيب »، تأصيل تاريخي ووصف متميز لعالم جليل وداعية من الطراز الأول، والشيخ البغدادي عالم أديب ذو مواهب متعددة، كتب الشعر والأدب، وأتقن العلوم المختلفة إضافة للعلوم الشرعية، وتمكن من اللغتين العربية والتركية، وكان محبا للسفر والتجوال، ولقد سافر إلى الدولة العلية العثمانية في الأستانة في عهد السلطان عبد العزيز الأول[1]، حيث مارس الدعوة وترقى في المناصب ليصير إماما للبحرية العثمانية، وحينما علم أن هناك سفينتان ستسافران إلى البصرة مرورا برأس الرجاء الصالح طلب الإذن لمرافقة إحداهما وكان ذلك في عهد أمير البحار محمد صالح آتيش باشا، وكان قصد الشيخ كما ذكر في مخطوطته « فطلبت المسير بإحداهما قصدا للسياحة والتأمل بكل ساحة، إذ هي تزيد اليقين ويتأكد بالنظر لعظمة القدير المبين »[2]، وقد بدأت الرحلة في أوائل جمادى الأولى سنة 1282 هجرية، وحينما وصلت السفينتان للمحيط الأطلسي هبت عاصفة قوية وحملتهما إلى بلاد بعيدة تبين بعد ذلك أنها مدينة

---

1 السلطان عبد العزيز بن الخليفة محمود بن عبد المجيد تولى الخلافة 1277هـ وعزل منها 1293هـ، قام بالعديد من الإصلاحات في الدولة العثمانية وطور الجيش والأسطول البحري العثماني ليصبح ثالث قوة بحرية في ذلك الوقت، ورفض كافة الدساتير الأوروبية، هذه التغيرات التي لم ترق إلى الغرب فقاموا بتشويه صورته، فتم العمل على عزله ثم اغتياله بعد ذلك.

2 مخطوطة مسلية الغريب.

« ريو دي جانيرو »[3] عاصمة دولة البرازيل في ذلك الحين، وهناك التقى بمجموعة من المسلمين البرازيليين من أصول إفريقية، والذين ألحوا عليه في الإقامة في البرازيل لتعليمهم أمور الدين الإسلامي، وقد قبل الشيخ البقاء معهم وذلك بعد مرور ثلاثة أيام كان قد قضاها في التشاور مع قائد السفينة حول وضع المسلمين في البرازيل والجهل الذي أصابهم، وتبديل شعائر دينهم يقول الشيخ البغدادي « وهناك تركت البوابير لأجل تعليم المسلمين الذين بهذه البلاد مقيمين محتسبا لوجه رب العالمين »[4].

هذه المخطوطة تعد بلا شك عمدة للدارسين والمتابعين لتاريخ المسلمين في البرازيل وأمريكا اللاتينية، لأن من كتبها عالم جليل وأديب مخضرم، إستطاع أن يصف كل مارأى، وأن يضع تصوراته لإنقاذ الجالية المسلمة في ذلك الوقت، لقد أضافت هذه المخطوطة بعدا آخر على تاريخ الإسلام والمسلمين في البرازيل، حيث كان الاعتقاد السائد لدى الدارسين لتاريخ الإسلام والمسلمين في البرازيل أن قصة المسلمين الأفارقة الأوائل الذين جلبهم البرتغاليون للبرازيل للعمل على استصلاح أراضيها، تنتهي بانتهاء ثورتهم عام 1835م في ولاية باهيا والتي كانت نتيجتها الفشل في تحقيق أهدافها لتحرير العبيد وإقامة مملكة إسلامية.

وحين وصلتنا هذه المخطوطة استكملت حلقة مفقودة في تاريخ المسلمين في البرازيل، وجاءت لتؤكد أن الإسلام استمر متواجدا وبفاعلية داخل دولة

---

3 مدينة ريو دي جانيرو « نهر يناير »، تم تأسيسها عام 1565م، ويبلغ عدد سكانها 13 مليون نسمة، العاصمة السابقة لدولة البرازيل بعد أن كانت باهيا العاصمة الأولى، من أجمل مدن العالم وتقع على المحيط الأطلسي.

4 مسلية الغريب.

البرازيل وإن كان أتباعه يمارسونه سرا لسنين طويلة بعد فشل هذه الثورة، ولقد حاول المسلمون خلال تلك الفترة أن يوحدوا صفوفهم وكان لهم تواصل منظم بين تجمعاتهم المنتشرة في دولة البرازيل الكبيرة، ومارسوا شعائر دينهم التي شابها الكثير من التحريف نتيجة قتل مشايخهم واندساس بعض اليهود بينهم والذين عملوا على تبديل أوليات الدين الإسلامي.

زيارة الشيخ عبد الرحمن البغدادي للبرازيل عام 1866م تعتبر أول زيارة لعالم عربي مسلم للمسلمين في دولة البرازيل، بل نستطيع القول أنها أول زيارة لعالم مسلم للأمريكتين، ولقد دون الشيخ خلالها ووصف بدقة أخلاقياتهم وحياتهم وممارساتهم وتفاعلاتهم المختلفة، وحاول من خلال برنامج تربوي إسلامي التغلب على معظم المصاعب والأمراض الأخلاقية التي أصابت عدد كبير من مسلمي البرازيل.

تكمن أهمية المخطوطة كذلك في وصف الشيخ البغدادي رحمه الله للأماكن التي زارها وهو مايسمى جغرافية المكان، وكذلك عادات الشعب البرازيلي وكنائسه، وأنواع الأطعمة والفواكه، ووصف البلدان التي مرت عليها السفينة أثناء عودتها.

الجهود العلمية لدراسة المخطوطة

لقد ظهرت المخطوطة منذ فترة قصيرة ومازالت تحتاج للكثير من الجهود لدراستها من جوانبها المختلفة، وكذلك دراسة الحقبة التاريخية التي زامنت كتابة هذه المخطوطة سواء في البرازيل أو العالم الإسلامي وخصوصا إفريقيا الموطن الأم لمسلمي البرازيل، وسأحاول من خلال هذه الدراسة تتبع أهم الدراسات والكتابات التي تحدثت حول هذه المخطوطة.

أولا : ترجمة المخطوطة للغة العثمانية، وقد قام بهذا العمل « شريف أفندي » وقد حصلت على نسخة مصورة من الترجمة من مكتبة السليمانية في اسطنبول، وهي مسجلة تحت رقم 4979، وقد تمت هذه الترجمة عام 1288 هـ يعني 6 أعوام من تاريخ زيارة الشيخ عبد الرحمن البغدادي للبرازيل، وهذه الترجمة تضفي مصداقية على وجود المخطوطة والعناية والاهتمام الذي تم بها من قبل بعض العلماء في ذلك العصر.

ثانيا : كتاب المسلمون الأوائل في البرازيل، وهو كتاب صدر باللغة التركية[1] قام الأستاذ أحمد شرف العنتبلي بترجمة المخطوطة من اللغة العربية إلى اللغة التركية وقال معقبا « لقد ترجمت قصة رحلة السيد عبد الرحمن إلى اللغة التركية والتي لم يكن موجود عنها معلومات كافية لكى يعرفها كل شخص، وبشكل عام فقد أظهرت وأوجدت تناقضا بين الأصل

---

1 Brezilya'da İlk Müslümanlar عن دار النشر التركية Kitabevi.

والترجمة وشحت الأماكن التي رأيت أنها تتعلق بالموضوع »[2]، ولقد أعد الترجمة على شكل قصة الأستاذ أحمد أوزابل، وقامت بنشرها مكتبة Kitabevi 2006م في استانبول بتركيا.

ثالثا : كتاب مسلية الغريب بكل أمر عجيب دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي، والكتاب هو دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي وقد قامت بنشره مكتبة أمريكا الجنوبية – الدول العربية باللغات الثلاث العربية والبرتغالية والإسبانية عام 2007م، وقد تم إعداد الكتاب بناء على توصية اجتماع رؤساء الدول اللاتينية والعربية في إعلان الدوحة عام 2009م[3]، وقد قام بتحقيقه الدكتور باولو دانيال إلياس فرح أستاذ الأدب بجامعة ساولو البرازيلية، وقدم له وزراء خارجية البرازيل وفنزويلا والجزائر، وكذلك وزير الثقافة البرازيلي جيلبيرتو جيل.

---

2 مقدمة كتاب المسلمون الأوائل في البرازيل .

3 إعلان الدوحة: نحن قادة الدول العربية ودول أمريكا الجنوبية المجتمعون في قمتنا الثانية المنعقدة في الدوحة 2009/3/31، بدعوة كريمة من حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر، وتنفيذا لما تقرر في قمتنا الأولى التي انعقدت في برازيليا في 2005/5/11-10، بدعوة من فخامة السيد لويس اناسيو لولا دا سيلفا رئيس جمهورية البرازيل الاتحادية الذي شارك في رئاسة القمة مع فخامة السيد عبدالعزيز بوتفليقة، رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية باعتباره رئيس القمة العربية، وحرصا منا على مواصلة العمل على تعزيز العلاقات العربية الأمريكية الجنوبية والاستفادة من فرصها المتاحة، وتنسيقا للجهود بين المجموعتين لإقامة تجمع قوي يمكن من خلاله تبادل المنافع وحماية المصالح المشتركة في اطار علاقات بناءة متينة نتفق على ما يلي:

ثالثا: التعاون في المجال الثقافي:

25- الملاحظة بارتياح خاص النتائج الأولى للتعاون الثقافي فيما بين الاقليمين، والتي يمكن أن نلقي الضوء فيها على ما يلي:

ج- نشر المكتبة العربية الأمريكية الجنوبية- البرازيل كتاب مسلية الغريب لكل أمر عجيب، دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي للأستاذ باولو فرح، باللغة العربية ولغات أخرى، وبدعم من المكتبات الوطنية للجزائر والبرازيل وفنزويلا، وسوف تضاف كتب أخرى لقائمة أعمال الاقليمين والتي سيجري ترجمتها ونشرها.

وقد ذكر رئيس مؤسسة المكتبة الوطنية في ريو دي جانيرو « مونيز سودريه » عن كيفية اكتشاف المخطوطة « اشترى هذه الوثيقة الخطية الماني من أيدي تركي، ووصلت مكتبة برلين ومنها إلى يد الدكتور باولو فرح »[4].

ولقد توسع الدكتور باولو فرح في تحليل الجانب الثقافي والوصفي في المخطوطة، وكان تحليله ضعيفا للجانب الديني والدعوي لفترة إقامة الشيخ البغدادي بين المسلمين[5].

رابعا : كتاب صراع اليهودية والإسلام في البرازيل، والكتاب قراءة في أدب عبد الرحمن البغدادي، ألفه الدكتور خالد محمد أبو الحسن مدرس اللغة التركية بآداب سوهاج، وقامت بنشره المكتبة المصرية عام 2009م، وواضح من دراسة الدكتور خالد أنه لم يصل إلى المخطوطة وإنما كان عمله قائما على ترجمة كتاب « المسلمون الأوائل في البرازيل » من اللغة التركية إلى اللغة العربية « وحينما بحثت في الأمر وجدت كتابا (مكتوبا باللغة التركية) لمؤلف بغدادي الأصل يدعى عبد الرحمن أفندي البغدادي عاش في كنف الدولة العثمانية وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر »[6]، وقد أجاد الدكتور في تحليل الإساءات والتحريفات التي أدخلها المترجم اليهودي على الدين الإسلامي، وكان هذا اليهودي قد رافق الشيخ البغدادي مدة من الزمن قبل أن يكتشف أمره وكان يقوم بالتواصل بين الشيخ البغدادي ومسلمي البرازيل في المرحلة الأولى من إقامة بين المسلمين.

---

4 مقدمة مسلية الغريب بكل أمر عجيب، باولو فرح.

5 http://www.bibliaspa.com.br/obra.jsp?cod=1

6 صراع اليهودية والإسلام في البرازيل، الكتور خالد محمد ابو الحسن ص 9 .

خامسا : « مسلية الغريب . . رحلة إلى أميركا الجنوبية » لعبد الرحمن البغدادي، وقام بتحقيقها الجزائري عبد الناصر خلاف وقد حصلت على جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة لعام 2009م والذي يقيمه المركز العربي للأدب الجغرافي- ارتياد الآفاق، ولم أستطع الحصول حتى الآن على صورة من هذا البحث.

سادسا : الشيخ عبد الرحمن البغدادي في بلاد السامبا، وهو تحليل على ثلاثة أجزاء قمت بكتابته، تم نشره على أكثر من موقع على شبكة الإنترنت، ثم كان هذا الجهد الذي ضمنته هذا الكتاب، لأنها مخطوطة جديرة بالتأمل والدراسة من أكثر من زاوية وتحتاج لكثير من التحليل، خصوصا أن الشيخ البغدادي رحمه الله وصف وصفا دقيقا كل مامر به وسمعه وشاهده خلال تلك الرحلة، وهي بلا شك مفتاح لدراسة أعمق لهذه الفترة التاريخية، وهذا سيساعد على إعادة صياغة تلك الفترة التي أهملت ولم توف حقها من الدراسات العمية.

سابعا : ندوة مسلمو البرازيل قاوموا عمليات التنصير في القرن 19، وهي عبارة عن ندوة ألقاها الدكتور مايكل جوميز أستاذ التاريخ والدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بجامعة نيويورك، نظمتها كلية الدراسات الإسلامية بقطر في شهر مارس 2011م، وقد جاء في التقرير الذي تحدث عن ندوته « وعرض جوميز لمخطوط الرحالة عبدالرحمن البغدادى » مسلية الغريب « والذى زار باهيا عام 1880 واجتمع مع المسلمين وتحدث معهم عن دينهم 1880، ورأى بعض الآثار الإسلاميَّة يعني ما زالت موجودةً في بعض المسلمين العبيد، الذين كانوا يقومون ببعْض الصَّلوات،و قال في

مخطوطه: لمَّا نزلْنا على سواحل السنتس - مدينة ساحلية - فأرادوا أن يصلُّوا فلمَّا أقاموا الصَّلاة جاء بعض العبيد وأخذوا ينظرون إليْهم، في اليوم الثاني ظنُّوا أنَّهم جاءوا ليستهزئوا بهم ويضحكوا عليهم، في اليوم الثَّاني هؤلاء العبيد جاؤوا وشاركوا في الصلاة، وطلبوا منه أن يبقوا عامين معهم حتَّى يعلِّمَهم، فبقِي هذا الرَّجُل حوالي سنتَين ثمَّ كتب هذا الكتاب، والكتاب الآن بعد التَّبادُل الآن بين دوْلة البرازيل وبعض الدُّول العربيَّة أوْصَوا بأن يُطْبَع، وأظنُّ أنَّه طُبِع في مدينة الجزائر، وموجود قيْد التناوُل الآن، هذا التَّواجد القديم »[7].

أرجو أن أكون قد بينت من خلال هذا المقدمة الضوء على عمل أدبي رائع لأحد علماء المسلمين الذين وهبوا أنفسهم للدعوة إلى الله وتحملوا الكثير من المصاعب خلال فترة زمنية كان البرتغاليون والكنيسة يعدون على المسلمين أنفاسهم، واستطاع هذا العالم الجليل خلال فترة وجوده أن يصصح الكثير من المفاهيم المغلوطة حول دين الإسلام، وأن يبعث روح العزة بين أبناء المسلمين مما دفعهم لهجر الكثير من العادات والمعاصي والعودة لتعلم العقيدة الإسلامية الصحيحة وشعائر الدين الإسلامي الحنيف، وقد أعطانا الشيخ البغدادي نموذجا عن تحرك الداعية وسط الأقلية المسلمة، من خلال تبنيه لمذهب وسطي، واعتماده على فتاوى تراعي ظروف الحال، نسأل الله أن يتغمده بكامل رحماته وأن يحفظ المسلمين في كل زمان ومكان.

---

7 http://www.alamatonline.net/l3.php?id=615.

الظروف التاريخية التي سبقت قدوم البغدادي

هذه مقدمة تاريخية تسبق وصول الشيخ البغدادي للبرازيل وستساهم بشكل جيد في فهم الخلفية التاريخية لوضع المسلمين داخل البرازيل.

تم اكتشاف البرازيل عام 1500م على يد البحار « بيدرو ألفارس كابرال »، وكلمة « البرازيل » ترجع لكلمة « براسيل » نسبة لنوع من الأشجار كانوا يستخرجون منه الصبغة الحمراء، وأخري « هي برازيل » Hy Brasil والتي تعني أرض العظمة والقوة والجمال، وثالثة ترجع لكلمة « Bress » بريس وتعني المبارك بلغة شعوب غرب أوروبا، والمتعارف عليه في معظم المصادر التاريخية هو الرأي الأول.

وصول المسلمين إلى البرازيل

تختلف الروايات حول أول اتصال للمسلمين بالبرازيل، فيذهب بعض المؤرخين إلى احتمالية وصولهم إلى أرضها قبل اكتشافها عن طريق بعض القوارب، نظرا لتقدمهم في علوم البحار، ويستدلون على ذلك ببعض الكتابات والنقوش العربية التي وجدت محفورة على بعض الأحجار في مدينة « ريو دي جانيرو » وغيرها من سواحل البرازيل وأمريكا اللاتينية عموما، وكذلك بعض الروايات في الكتب التارخية لعلماء المسلمين الذين اهتموا بعلوم الجغرافيا، وهي روايات تحتاج لمزيد من البحث والتحقيق العلمي الدقيق .

وتذهب الروايات الأخرى إلى أن مكتشفي أمريكا والبرازيل اصطحبوا معهم بعض المرشدين المسلمين المتمرسين في علوم البحار، هؤلاء المرشدون تظاهروا بالنصرانية للهروب من محاكم التفتيش في إسبانيا « الموريسكيين »، وحال وصلوهم إلى البرازيل بدأوا في إظهار بعض الشعائر الإسلامية، ولم يلبثوا كثيرا حتى تم أكتشاف أمرهم وأقيمت لهم محاكم تفتيش من قبل البرتغاليين في مدينة باهية 1594م وتم تحديد بعض المواصفات التي تبين من هو مسلم سرا ونصراني جهرا مثل « الاغتسال والاستيقاظ المبكر والصيام ونظافة الملابس »[1]

1 المسلمون في أوروبا وامريكا ص 251.

وذهب إلى هذا الرأي الدكتور علي الكتاني – رحمه الله -، وهو الخبير بشؤون الأقليات المسلمة في العالم، يقول « عندما قام البرتغاليون بغزو البرازيل، منعوا المسلمين من الهجرة إلى هناك، غير أن هذا المنع لم يحل دون وصول العديد من الموريسكيين الذين كانوا من الكثرة، بحيث أشهروا في القرن السادس عشر إسلامهم وقد أعلنت محكمة باهية بسبب ذلك بدء العمل بمحاكم التفتيش الكاثولوكية منذ عام 1594م، هذه المحاكم نفذت ضدهم أحكاما دموية تمثلت في إعدام أو إحراق أو استعباد الآلاف منهم »[2]

كانت خبرة المستعمر البرتغالي قليلة في مجال استصلاح الأراضي، وعندما وصلوا أرض البرازيل فوجئوا بمساحات شاسعة من أرضها البكر، فبدأوا عملية استجلاب العبيد من إفريقيا عام 1538 وبعد 40 عاما كان قد تم استجلاب 14.000 ألف عبدا، ثم 600.000 ألف من أنجولا وخصوصا من قبائل « داهوتي – الهوسا – أشانتي – الفولاني »...

إن البحث يقودنا للتعرف على أوضاع المسلمين في إفريقيا بدايات القرن السادس عشر، وهي الفترة التي تم فيها بيع هذه الأعداد الهائلة من الأفارقة، والتي تقدر بالملايين « فقط من دولة بنين ثلاثة ملايين تم بيعهم خلال القرن السابع عشر »[3]

كانت إفريقيا في ذلك الوقت لاتزال تنعم بآثار الممالك الإسلامية القوية، وماكان لديها من حضارات زاهرة، وعلوم مقدمة، في مجالات الزراعة،

---

2 المسلمون في أوروبا وأمريكا ص 35.

3 http://www.foxnews.com/story/0,2933,91575,00.html

والعمارة، والثقافة والفنون، والصناعات المختلفة، ولقد تأثر هؤلاء العبيد بلاشك بتلك الثقافات المتعددة، والعلوم المزدهرة، وكانت سببا لترك بصمتهم الواصحة في بناء حضارة الدولة البرازيلية الجديدة.

تعتبر الفترة من 1000 إلى 1500 للميلاد العصر الذهبي بالنسبة لتطور منطقة غرب إفريقيا حيث فترة توسع وازدهار تجاري بين المدن والدول والإمبراطوريات وفي جنوب شرق السودان كانت دول الهوسا وإمبراطورية كانيم – بورنو من أهم الكيانات السياسية في تلك المنطقة[4].

لقد تم انتزاع هؤلاء العبيد قسرا من أرضهم، وعوملوا معاملة غير آدمية، وسيقوا إلى بلاد بعيدة ومجهولة لهم، ومات منهم الكثير أثناء عملية النقل الوحشية، ومن وصل منهم إلى أرض البرازيل أرغم على التنصر، وعاش في ظروف غير آدمية[5].

يقول عياش دراجي « مائة وخمسون كيلو متراً طول طريق العبيد في بنين لم يبق منها سوى أربعة كيلو متراً، ولكن لابد من التوقف عند الشجرة المقدسة التي تُسمى « شجرة النسيان » إذ يقوم الرجال من العبيد بالطواف حولها تسع مرات والنساء سبع مرات، وتلك الطقوس الوثنية كان الهدف منها حمل العبد على نسيان الماضي وغسل الذاكرة، ثم ينتقل العبيد إلى المحطة الثالثة ليتم حبسهم في ركن خاص إلى أن تصل السفن وقد يدوم

---

4 www.ansab-online.com

5 توجد وثيقة مهمة جدا لأحد هؤلاء العبيد اسمه « محمد واقواقوا» وقدتم أسره من بنين، وسيق إلى البرازيل ثم نال حريته حينما ذهب لأمريكا على ظهر سفينة، وكان يجيد الكتابة فقام بكتابة مذكراته،بمساعدة أحد الأمريكان «صمويل مور « ، عام 1854 Mahommah G. Baquaqua, Biography of Mahommah G. Baquaqua. A native of Zoogoo, in the interior of Africa. Edited by Samuel Moore, Esq. (Detroit: George E. Pomery and Co., Tribune Office, 1854) pp. 40-57). Tradução: Sonia Nussenzweig.

الانتظار أربعة أشهر، يحبسون في ركن زوماي، أي المكان الموحش الذي لا نار ولا نور فيه، يُقسَّمون إلى أفواج في زنزانات مظلمة لتعويدهم على الصبر في عنابر السفن الضيقة »[6].

حينما وصل هؤلاء العبيد إلى أرض البرازيل تم تعميدهم، ولكنهم ظلوا محافظين على إسلامهم، يمارسون شعائرهم الإسلامية خفية، ويحتفظون بصفحات من القرآن، وكان بينهم علماء ومشايخ، ظلوا يوجهونهم للتمسك بدينهم، وقد أقاموا داخل أكواخهم حلق القرآن، ومجالس العلم، وكان نتيجة هذا التمسك القوي بالإسلام أن سمح لهم أسيادهم البرتغاليون بهامش من الحرية الدينية .

وتذكر بعض الكتب التاريخية أن هؤلاء العبيد كانوا أسرى ملك داهومي الوثني أسرهم في حروبه مع الدول الإسلامية وباعهم للبرتغاليين، وصادف أن كان من بين هؤلاء علماء في الدين فنجحوا في الحفاظ على علمهم وأسسوا جاليات إسلامية قوية ومنظمة من المستعبدين في ولايات « باهية - وريو دي جانيرو - وسان لويس دو مرانيون »، ونجحوا في إدخال كثير من العبيد الآخرين في الإسلام، وكانت لهم المدارس الإسلامية والمساجد وشيء من الحرية الدينية، وكان يسميهم البرتغاليون بالمعلمين »[7].

يتفق المؤرخ « نينا رودريغيز » مع هذا القول ويوضح ذلك في مقال له تحت عنوان « المسلمون الزنوج في البرازيل، اعتمد فيه على أرشيفات الشرطة ومراسلات حكام الولايات، وتصريحات المتهمين المتورطين في التمرد الذي قام به الزنوج المسلمون ضد نظام الرق الذي كان وراء

6 http://forum.roro44.com/235530-5.html

7 المسلمون في أوروبا وامريكا ص 251.

تهجيرهم إلى البرازيل »[8]، ولقد زار هذا المؤرخ بعض أئمة الزنوج بمدينتي باهيا وريو دي جانيرو وتحدث عن أنشطتهم ولباسهم ومبررات تمردهم وعلاقتهم ببقية الزنوج غير المسلمين »[9].

ويؤكد الباحث الإيثنوغرافي الفرنسي « روجيه باستيد » أن المسلمين الزنوج كانت لهم مساجد في الأغواس، وبرنامبوكو وباهية[10].

كل هذه الدراسات تؤكد وتصف الإسلام بأنه الديانة التي تبعث على عزة النفس وتقاوم كل محاولات التمسيح كما تصف الذين يدينون بها في البرازيل بـ « أناس متسامحين ثائرين لهم عزة نفس »[11].

8 Jornal de Janeiro 2/11/1900

9 الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية 207.

10 المصدر السابق.

11 المصدر السابق.

الثورة الإسلامية في باهيا البرازيلية

هذه حلقة مهمة من تاريخ المسلمين في البرازيل، أشعر بالألم والحزن كلما تعمقت في البحث حول تلك الحقبة، ولمست ما تحمله وعاناه إخوان لنا في هذه الأراضي البعيدة من أجل الحفاظ على دينهم، ولم يكن لهم من نصير إلا الله، ولم تكن لديهم وسائل اتصال لتشرح وتصف ماعانوه من ظلم وقتل وتشريد، وإرغام على اعتناق دين ليس دينهم، واتباع عادات ليست من عاداتهم، وكل من عرف بعض ماعاناه هؤلاء المسلمون أصيب بالحزن والأسى مثلي، يذكر الشيخ عبد الرحمن البغدادي[1] في مخطوطته مسلية الغريب « وكم مرة سألتهم عن سبب هذا التستر الشديد (أي ممارسة شعائر الدين في السر) مع أن الدول أطلقت من الحرية لكل شخص مايريد فأخبروني بأن حربا وقع بينهم (أي المسلمين الأفارقة) وبين الخرستيان وحاول السودان أن يملكوا منهم البلدان وكانت النصرة للنصارى .... وكلما رأيت الإسلام فيما ذكرته من التغطيس (التعميد الإجباري) والدفن (في مقابر النصارى) والاكتتام (ممارسة شعائر الإسلام في السر) تهطل من عيوني الدموع السجام وأتأسف على بلاد الإسلام وأتذكر وطني وبعد المسافة ولا أجد لي حرا أرتجي إسعافه سيما في بلدة عدم بها النصير وجار بها الحقير ودقت النواقيس وكثرت وساوس إبليس »[2].

---

1 عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الدمشقي، ولد في بغداد وترقى في العلم حتى أصبح إماما للبحرية العثمانية، وصل للبرازيل عام 1865 م على ظهر سفينة عثمانية ضلت طريقها، وحينما علم بوجود مسلمين في البرازيل بقي بينهم ثلاثة أعوام، زار خلالها جميع الجاليات المسلمة من العبيد الأفارقة في ريو دي جانيرو و سلفادور وريسيفي وبرنامبوكو، وكتب مذكراته عن هذه الرحلة في مخطوط مهم موجود بمكتبة برلين.

2 مخطوطة مسلية الغريب.

صفات العبيد المسلمين وفضلهم على البرازيل

الواضح من الدراسات التاريخية أن العبيد المسلمين الذين تم جلبهم من إفريقيا كانوا على قدر واسع من العلم والثقافة والتقدم الحضاري، كانوا يلقبونهم بـ « المعلمين » نظرا لتفوقهم وسعة اطلاعهم وثقافتهم مقارنة بالبرتغاليين، لقد كانوا يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية، « إن الدراسات الإستوريوغرافية حول البرازيل تربط وصول الإسلام إلى هذا البلد بتجارة الرقيق، وهي تجمع في تحليلاتها للإثنيات الزنجية المسلمة في البرازيل، على أن الأمر يتعلق بمجموعات بشرية ذات مستوى ثقافي لابأس به، كانت تعرف القراءة والكتابة، ولم تختلط ببقية الرقيق ذوي الأصول الأفريقية، تزعمت أهم التمردات الزنجية التي عرفتها البرازيل، وتصف هذه الدراسات الإسلام بالديانة التي تبعث على عزة النفس، وتقاوم كل محاولات التمسيح، كما تصف الزنوج الذين يدينون بها في البرازيل بـ « أناس متشامخين ثائرين لهم عزة نفس »[1].

وعملية التواصل والتخاطب بين السادة كانت تتم عن طريق العبيد المسلمين « الأسياد الأميون كانوا يتخاطون من خلال عبيدهم الزنوج : يكتب العبد المسلم رسالة السيد الأمي إلى زميله السيد الآخر الذي يقرأ له الرسالة عبده المسلم المتعلم »[2]، يقول الدكتور شاكر مصطفى

1 الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية ص 207.

2 الأدب في البرازيل ص 25.

« ولكن إفريقيا قدمت إليها أيضا (للبرازيل): ..... معلمين للمدارس كما قدمت وهو الأهم شيوخا مسلمين »[3] .، « اءوا مؤدبين ووعاظا وأئمة صلاة ومعلمي دين، وكانوا في معظمهم من ممالك البورنو وسوكوتو وغاندو ذوات التنظيم السياسي المتقدم، والأدب الديني الإسلامي الكامل، ولهم مؤلفاتهم المحلية باللغة العربية، وفنهم القوي الأصيل الذي لايقارن بتفاهات البرتغاليين »[4]، « كان » الماليز « يتمتعون بمستوي ثقافي عال إذا ماقورن بمستوى البرازيليين، وكانوا قادرين على القراءة والكتابة باللغة العربية »[5]،« فى باهيا كانوا قادرين ان يكتبوا العربية بمهارة و كانوا أعلى ثقافة من أسيادهم بكثير »[6].

أما بالنسبة للمجموعات المسلمة التي تم اختطافها من غرب أفريقيا فقد كانت أسمى في التعبير الفنى، وفي التعليم وفي قصائد الشعر وفي نوع الحياة و تنظيمها، وفي أساليب الزراعة والتجارة والقتال « [7]، وأما أولئك الذين تم اختطافهم من السهوب الشرقية المسلمة في معظمها ... وكلها مناطق إسلامية متقدمة الحضارة، بسبب اتصالها الدائم بالشمال الإفريقي وبمصر »[8].

---

3 الأدب في البرازيل ص 25.
4 الأدب في البرازيل ص 29 ,28.
5 موسوعة التاريخ الحي، الجزء 20 الصفحة 85-80.
6 توماس إوبانك (THOMAS EWBANK) الحياة فى البرازيل، او أرض الكاكاو و النخيل ص 144 Landres lifein brazil or the land of the coco and the palm
7 الأدب في البرازيل ص 26.
8 الأدب في البرازيل ص 27.

وقد أكد الدكتور مايكل جوميز[9] أن « هؤلاء العبيد كان يوكل لهم مهام فنية مثل الحلاقة أو البناء أو النجارة أو الرسم أو النحت على الخشب، وبعد فترة حدث نوعا من الاتفاق مع ملاكهم فكانوا يحصلون على جزء من أجورهم مقابل ترك حرية لهم في العمل وإعالة أنفسهم »، وأضاف « كان بعض العبيد من طوائف ومراتب اجتماعية مرموقة، فقد كان من بينهم أمراء وجنود ومعلمون وعلماء، تم أسرهم وترحيلهم كعبيد إلى بلاد مسيحية غربية »[10].

وقد كان لهؤلاء العبيد الفضل في اكتشاف الذهب والألماس « لقد أصر البرتغاليون أن يستعبدوا الأفارقة، لأنهم الأقدر على اكتشاف مناجم الذهب البرازيلية » تم اكتشاف المناجم 1720م « .... لقد استطاع الأفارقة أن ينقبوا عن الذهب البرازيلي حتى في الأنهار والجداول وذلك تحت إمرة البرتغاليين »[11].

يقول جيلبيرتو فريري[12] « كانوا يشكلون عنصرا نشيطا، مبدعا، ويمكن أن نقول إنه نبيل في استعمار البرازيل لايخفض من مكانته، إلا أنهم يعتبرون « رقيقا » ! ماكانوا حيونات جر أو عمال زراعة ولكنهم مارسوا دورا حضاريا بارزا، كانوا اليد اليمنى في التكوين الزراعي بينما كان الهنود، وبعض البرتغاليين اليد اليسرى، البرازيل تدين لهم على الأقل بقصب السكر والقهوة التي جلبوها والتبغ والقطن والحبوب، حتى الأدوات الزراعية الحديدية كلها إفريقية، وقد طورها الزنوج أنفسهم، والخلاسيون المولدون منهم حسب

---

9 الدكتور مايكل جوميز أستاذ التاريخ والدراسات الإسلامية والشرق أوسطية بجامعة نيويورك.

10 alamatonline.net/l3.php?id=615

11 صراع اليهودية والإسلام في البرازيل ، ص 17.

12 مؤرخ برازيلي ولد في ريسيفي 1900م ، يعتبر من أهم علماء الاجتماع في القرن العشرين.

حاجلات البلاد، ليس هذا فحسب ولكن التعدين في البرازيل، واستخراج الحديد قد أخذا عن هؤلاء الإفريقيين، « كانت وسائلهم التقنية في ذلك أكثر تقدما من وسائل الهنود، ومن وسائل الأوروبيين أيضا، ويمكن أن نضيف تأثيرا ثالثا أيضا لهم هو الطهي، لقد اغتنى وارتقى بالإسهام الأفريقي « ونضيف أثرا رابعا هو رعي الماشية، إنها في ماتو غروسو من أصل أفريقي قامت على أكتاف الزنوج »[13]، ولقد « كان تأثير هؤلاء الزنوج أصيلا، خلاقا، طور المجتمع الذي كان على طريق التكون في البرازيل بعناصر ذات قيمة من الحضارة الإفريقية وتقنياتها المتقدمة، يومذاك لاعلى حضارة البرازيل ولكن على حضارة الولايات المتحدة أيضا »[14].

لقد أقر البرتغاليون أنفسهم بأنه لولا العبيد الأفارقة مااستطاعوا أن يجنوا ثمرة واحدة من البرازيل وما استطاعوا أن يفعلوا مافعلوه »[15]، « رسخوا أقدامهم في البرازيل، وبات تواجدهم وكثرة أعدادهم أمرا ملفتا للانتباه، ومن هنا لم يستطع أحد ان ينكر عليهم تواجدهم الفعال، وفي القرن السادس عشر الميلادي توقع البرتغاليون للأفارقة أن يصبحوا بعد أربعة قرون الركيزة الأساسية للاقتصاد البرازيلي »[16].

---

13 البيت الكبير والكوخ، جيلبيرتو فريري، ص 265-255.

14 الأدب في البرازيل ص 25.

15 جمعيات المارون ص 170.

16 صراع اليهودية والإسلام في البرازيل ص 18.

دور علماء المسلمين الأفارقة

لقد كان للعلماء والمشايخ في أفريقيا دورا بارزا وتضحية تكتب لهم في ميزان أعمالهم يوم القيامة،كانوا يقعون في الأسر مختارون حتى يقومون بمرافقة هؤلاء العبيد في طريقهم للأرض المجهولة، كان هدفهم واضحا في الحفاظ على إسلامهم، وتقوية عزائمهم، وتعليمهم شعائر الدين، وعدم تركهم عرضة لمصير مجهول لايعلمه إلا الله.

شاهد العلماء كيف كانت تتم عملية غسل عقول العبيد وتغير أسمائهم قبل شحنهم في السفن، وشاهدوا عملية التعميد الجماعية التي كانت تقام لهم لدى وصولهم البرازيل، وكانت وصيتهم للمسلمين بالصبر والثبات، وبدأ هؤلاء العلماء رحلة طويلة وشاقة لتعليم العبيد شعائر الإسلام والمحافظة على دينهم دون شعور من الأسياد، ونجحت هذه العملية التربوية في الحفاظ على العقيدة الإسلامية لدى العبيد وأن تكون حافزا للكثير من الثورات التي تمت بعد ذلك، « كانوا يلحقون بالعبيد متطوعين لإرشادهم إلى الدين، وينزلون معهم في الأكواخ، ويلقنونهم القرآن والكتابة ومبادىء الشريعة ... كانوا يحبسون أنفسهم معهم، وفي إطار عبوديتهم، ليستنقذوا البقية الباقية من تمسكهم بالدين في الظروف الوحشية التي يعيشون »[1].

1 الأدب في البرازيل ص 25.

يذكر الدكتور على الكتاني« وصادف أن كان من بين هؤلاء علماء في الدين فنجحوا في الحفاظ على علمهم وأسسوا جاليات قوية ومنظمة بين المستعبدين في ولايات بهية وريودي جانيرو وسان لويس دو مرانيون، ونجحوا في إدخال كثير من العبيد الآخرين في الإسلام، وكانت لهم المدارس الإسلامية والمساجد وشيء من الحرية الدينية، وكان يسميهم البرتغاليون بالمعلمين »[2].

وهذا ماأكده الدكتور خالد محمد أبو الحسن « فقد وجد من هؤلاء العبيد شيوخ كبار كانوا يقومون بمهمة جليلة في البرازيل وهي مهمة الوعظ والإرشاد والتفقيه فقد كانوا ينزلون مع العبيد الصغار الأكواخ ويعلمونهم القرآن ومباديء الشريعة الإسلامية السمحاء »[3].

ويؤكد الباحث الإثنوغرافي « روجيه باستيد »[4] الذي اهتمت أبحاثه بالديانات الأفريقية في البرازيل، وفي دراسة صدرت له سنة 1971م، أن المسلمين الزنوج كانوا يوجدون خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في جل مناطق البرازيل، وأنهم وبحسب المصادر الشفوية التي اعتمدها، كانت لهم مساجد في الأغواس، وبرنامبوكو وباهية »[5]، نفس النتيجة وصل إليها جواو خوسيه رايس حينما ذكر « أن الثورة الإسلامية جاءت في وقت انتشار الإسلام بين الأفارقة الذين يعيشون في باهيا »[6].

2 المسلمون في أوروبا وامريكا 251.

3 صراع اليهودية والإسلام في البرازيل ص 22.

4 عالم اجتماع فرنسي ولد عام 1898م، وتم ابتعاثه لجامعة ساو باولو عام 1938م، وكان لديه اهتمام بدراسة الديانات الأفريقية البرازيلية.

5 الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية ص 207.

6 ثورة العبيد في البرازيل، جواو خرسيه رايس، ص 137.

الإعداد العلمي والتربوي للمسلمين الأفارقة

اتبع العلماء والمشايخ أسلوبا تربويا وتنظيما راقيا، حيث كانوا يقسمون الأفارقة مجموعات كل مجموعة تضم عددا من الأتباع بين الخمسة إلى العشرة ويباشر الشيخ تعليمهم القرآن ويؤدي معهم الصلوات، ولقد أشار القس إتيان « أن الإسلام قوي وتفرع في البرازيل، وأضاء ظلمة أكواخ الرقيق،الذين جاءوا من أفريقيا معلمين ووعاظا لتعليم القراءة والكتابة باللغة العربية والقرآن الكريم، حيث كانت توجد المدارس والمصليات المحمدية »[1].

ونستطيع التأكيد على أن الدين الإسلامي كان الدافع لتجمع العبيد وتوحدهم « إن الدين الإسلامي ... هو الذي أوجد للمهاجرين إلى البرازيل كيانا، وربما كان سببا في تقوية تجمعهم وتعضيد استقرارهم، رغم حياة الشتات التي كانوا يعيشونها »[2]، فالأغلبية الساحقة من هؤلاء العبيد كانوا من المسلمين الذين أرغموا على ترك دينهم تحت التهديد والتعذيب، وعليه تقهقر الإسلام في أمريكا اللاتينية[3].

يذكر الدكتور مايكل جوميز « إن العبيد المسلمين عاشوا في مجموعات متراصة وكانوا يشدون من أزر بعض ويطورون أنفسهم ومجتمعهم، وخلقوا

1 البيت الكبير والكوخ، جيلبيرتو فريري ص 367.

2 صراع اليهودية والإسلام في البرازيل ص 19 ,18.

3 أضواء على الإسلام والمسلمين في اليابان وأمريكا اللاتينية، إمام أحمد علي، ص 46.

مساحة لهم بعيدا عن بقية السكان، وضرب مثلا برفضهم مصافحة غير المسلمين باليد وسخريتهم من نظرائهم ممن اعتنقوا المسيحية بسبب وضعهم لصور القديسين في بيوتهم، وكانوا يعملون على التجمع في منزل محدد للصلاة وقراءة القرآن الكريم،بعض العبيد كانوا يدرسون العربية لغيرهم، ووجد الكثير من المخطوطات في ملابس القتلى والأسرى منهم تتضمن آيات قرآنية وأدعية وأحاديث شريفة، وعمدوا إلى ارتداء الملابس البيضاء لتمييز أنفسهم، بالإضافة إلى تناول المنتجات الحلال والابتعاد عن الخمور »[4].

وقام العلماء المسلمون بإحياء المناسبات الإسلامية كفرصة لالتقاء أكبر عدد من المسلمين والعمل على تنظيمهم، يقول جواو خوسيه ريس[5] « لقد تحولت أكواخ العبيد إلى مدارس قرآنية، ليس هذا فحسب بل كانوا يجتمعون يوميا للصلاة، وللإفطار الجماعي خلال شهر رمضان، ويصف خوسيه رايس آخر احتفال قام به المسلمون في باهية قبل ثورة 1835م فيقول : وكانوا يجتمعون لإحياء المناسبات الإسلامية المختلفة وهنا يمكننا أن نلاحظ أن آخر اجتماع عام قام به المسلمون كان لإحياء ليلة المعراج (صعود النبي محمد إلى السماء) قد حدث في يوم السبت 29 نوفمبر عام 1834م »[6].

---

4 http://www.alamatonline.net/l3.php?id=615.

5 من مواليد ريسيفي عام 1952م ، واحد من أهم المؤرخين البرازيليين، أشهر المحللين والدارسين لتاريخ العبيد المسلمين وله كتاب « ثورة العبيد « يعتبر عمدة لكثير من الأبحاث حول هذا الجانب، ويعمل حاليا أستاذا لقسم التاريخ بجامعة ولاية باهيا الاتحادية.

6 ثورة العبيد في البرازيل، جواو جوزيه ريس ص 129.

بدايات الثورة الإسلامية

أثمرت التربية الإسلامية التي قام بها العلماء عن وجود روح جهادية قوية عند المسلمين دفعتهم للكثير من الثورات كانت نهايتها الفشل، « ففي مايو 1807 خطط الأئمة المسلمون للثورة اعتراضا على الظلم، بعد أن حولوا بيوتهم إلى مساجد لشحن الثوار وكدسوا فيها السلاح، وكان للثورة ثلاثة أهداف: قتل « السادة » البيض المستعبدين للأفارقة، وتسميم مصادر مياه الشرب العامة، والهروب في السفن عبر ميناء سلفادرو والعودة إلى الأوطان في غرب أفريقيا، لكن حاكم باهيا كان قد دس عملاء من الأفارقة بين الثوار تمكنوا من تسريب المعلومات المطلوبة قبل إشعال الثورة؛ فتم اعتقال قادة الثورة، وصدرت أحكام بالإعدام والجلد والسجن على المسلمين المشاركين في التمرد، ثم طبقت قوانين حظر التجول ليلا في كافة مناطق وجود المسلمين والأفارقة في باهيا »[1].

في يناير 1809 تكرر التمرد وكان ناجحا هذه المرة، وأوقع عشرات القتلى والجرحى من الجنود البيض بعد أن استولى المتمردون على مستودع للسلاح في منطقة ريفية من باهيا، وتتبعت السلطات المتمردين وقتلت وأسرت منهم المئات، ثم تكررت عشرات حوادث التمرد التي انخرط فيها مئات الأفارقة وتزعمهم قادة مسلمون من قبائل اليوروبا والهوسا في أعوام

1 www.alamatonline.net/l3.php?id=615

1814 و 1816 و 1822و 1826. ثم اندلعت عدة تمردات على مدى أربعة أعوام متتالية (من 1827 وحتى 1830).

في بداية القرن التاسع عشر تم جلب المزيد من العبيد الأفارقة وكثير منهم كان قد تتلمذ على يد الشيخ « عثمان بن فون »[2] وعايش حركته الجهادية الإصلاحية في أفريقيا لتصحيح عقائد المسلمين ضد الخرافات، وكان وصولهم للبرازيل بمثابة وقود جديد لاستمرارية الثورة ضد البرتغاليون، لقد ساهمت هذه المجموعة الجديدة في توسيع حركة الجهاد داخل صفوف الأفارقة، وتشكيل العقلية المسلمة بأفكار جديدة وقدرة تنظيمية رائعة، جعلت المسلمون يقررون الثورة على المظالم التي يتعرضون لها.

إن المسلمون في باهيا وبقية مناطق البرازيل قاوموا الرق والعبودية من خلال تطوير مفهوم جديد للجهاد اعتبروا فيه الكتابة بالعربية، والحفاظ على الصلاة والصوم، وارتداء الأزياء العربية الإفريقية، نوعا جديدا من الجهاد يحافظ عل الهوية من مغبة التنصير والابتلاع[3].

---

2 ولد الشيخ عثمان بن فون عام 1754 في نيجيريا، وينتسب إلى قبيلة الفولاني، درس العلم على والده، وتأثر بفكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب خلال زيارته لمكة المكرمة ولقائه بشيوخ السلفية في ذلك الوقت، قام بحركة إصلاحية للمفاهيم الإسلامية وأنشأ حركته المسماة بالجماعة، وأعلن الجهاد ضد الممالك الوثنية وانتصر عليهم وبايعه المسلمون أميرا واتخذ مدينة سوكوتو مركزا لدعوته، واتسعت مملكته حتى أصبحت أقوى الممالك في إفريقيا في ذلك الوقت، توفي عام 1818م.

3 www.alamatonline.net/l3.php?id=615

ثورة العبيد 1835م

تعتبر ثورة العبيد 1835م والتي قامت في مدينة « سلفادور » عاصمة ولاية باهيا، أكثر الثورات شهرة في تاريخ البرازيل، وعُرف باسم تمرد مالي Male (أي تمرد المسلمين الأفارقة)، حيث بدأ المسلمون في جمع الأموال وتخزين الأسلحة ووضع الخطط باللغة العربية لثورة 1835م، « كان الإسلام قد عشش وتفرع وقوي في عتمة الأكواخ (السنزالا)، وكان العبيد قد بلغوا من الشكيمة في أنفسهم، ومن القوة بدينهم، ومن الاعتداد بكثرتهم، الدرجة التي قرروا فيها الثورة، قادهم فيها الشيوخ الذين يقبعون معهم في العتمة المنبوذة، وتعاون فيها أبناء الهاوسة مع الفولا واليوروبا والناغو والايوه والكيجة ... كان المسلمون وشيوخهم من هؤلاء يمثلون نوعا من الاستقراطية بين زنوج الأكواخ »[1].

الأجواء التي سبقت ثورة سنة 1835م للزنوج في باهيا، أجواء حماسة دينية بالغة، في أزقة ماتابوركس، على شرفة الساحة، قرب صليب القديس فرانسوا، وفي ظل الكنائس والأديرة الكاثولويكية، وفي الأركان التي تنتصب فيها العذراء وتماثيل سان أنطونيو اللشبوني، كان الزنوج يضعون القرآن ويقيمون الصلوات، متحدين بذلك الأسياد البيض الذين كانوا يرقبونهم من النوافذ في أعالي البيوت، وكانوا يهاجمون القداس الكاثوليكي معلنين أنه ليس أكثر من عبادة لقطعة من الخشب، وكانوا يرفعون مسابحهم ذات الـ

---

1 الأدب في البرازيل ص 28.

99 حبة من الخشب، والمنتهية بطرة وكرة صغيرة، في وجه المسابح التي تحمل الصليب...[2].

تعود أسباب الثورة إلى عدم رضاء المسلمين عن العبودية والتمييز العنصري الذي كان يمارس بحقهم، وبغضهم للتعصب الديني الذي مارسته الكنيسة بإجبارهم على اعتناق الكاثولوكية، « كانت المقاومة في باهيا وغيرها من مناطق أميركا اللاتينة موجهة ضد الأوضاع الاستبدادية والقمعية التي نشأت من محاولات تحويل المسلمين قسرا إلى المسيحية، وكانت دوافع الرفض واضحة: كيف يمكن اعتناق دين أصحابه استعبدوا غيرهم، وطبقوا العنصرية في مقابل التخلي عن دين يعلم المساواة والحرية »[3].

لقد حدد المسلمون أهدافهم والتي تبلورت في التحرير الكامل للعبيد، والقضاء على الديانة الكاثولوكية، و مصادرة جميع الممتلكات الخاصة بالبيض، وإقامة دولة إسلامية.

إستطاع العلماء توحيد الأفارقة وتربيتهم على القرآن، وبثوا في نفوسهم السعي للتحرر عن طريق مقاومة المستعبد، وكانت أهم هذه الثورات ثورة العبيد أو ثورة المالي كما يطلق عليها في البرازيل عام 1835 م، حيث أعد لها الأفارقة إعدادا جيدا وخططوا للقضاء على النظام البرتغالي الموجود ورفع الظلم وتحرير العبيد والحرية بممارسة الشعائر الإسلامية.

تم اختيار ليلة القدر لتكون شرارة انطلاق الانتفاضة وكانت تناسب يوم الأحد 25 يناير وهو يوم عطلة رسمية للجنود البرازيليين « عيد القيامة

---

2 الأدب في البرازيل بتصرف.

3 www.alamatonline.net/l3.php?id=615.

المسيحي »، مما يعني ضعف الرقابة الصارمة التي كانت تمارس ضد العبيد وتعد عليهم أنفاسهم.

إجتمع قادة الثورة في تلك الليلة لوضع اللمسات الأخيرة لقيام الثورة، وحدث مالم يتوقعه أحد أن تسربت هذه المعلومات لأحد العبيد الذي كانت له صلة مع الشرطة فقام على الفور بالإبلاغ مما دفع بقوات كبيرة للوصول إلى المكان وحاصرته وبدأ إطلاق الرصاص فما كان من العبيد إلا أن انطلقوا في الشوارع لإعلام بقية العبيد بقيام الثورة، واندلعت مواجهات قوية وحرب شوارع في شارع النصر، استدعت القوات في مدينة سلفادرو قوات للتعزيز من شرطة ساو بالو، ودارت معارك شرسة في أكثر من مكان كان من نتائجها قتل معظم قادة الثورة، وإلقاء القبض على الكثير من العبيد ومصادرة أي كتابات باللغة العربية، أقيمت المحاكمات لمن تبقى منهم وحكم على بعضهم بالإعدام، وأعيد بعضهم إلى إفريقيا، وتم توزيع البقية على ولايات البرازيل المختلفة بحيث يتم تشتيت الأسر الأب في مكان والأم في مكان والأولاد في مكان.

ذبحت الثورة سنة 1835م كما ذبحت سابقاتها ولكن بشكل أشد عنفا ودموية... كل قوى الدولة والكنيسة الكاثوليكية، والمستعمرين، سخرت لسحقها الشديد... كالديدان المؤذية، « القصة السوداء » التي تحكي عن الوحشية الإسبانية في تدمير الهنود، هي نفسها التي مارسها البرتغاليون في خنق الثورات الزنجية الإسلامية، وهذه الأخيرة بالذات، ظلت جثثهم تتعفن روائح ودما وعظاما مدة طويلة على الطرقات وفي عتمة « السنزالات » الخربة[4].

4 الأدب في البرازيل ص 30 ,29.

نتائج الثورة

تم ترحيل 500 من قادة التمرد من العبيد المحررين إلى بلادهم الأصلية، وأشار ميشل تورنر من جامعة مدينة نيويورك في بحث له عن المسلمين المحررين من البرازيل إلى إفريقيا، أنهم قد عادوا إلى داهومي، وأقاموا أول مسجد بعاصمة البلاد [1]، وأكد ذلك الدكتور على الكتاني « وهاجر الكثير منهم إلى إفريقيا حيث يكونون اليوم ساحل الداهومي ونيجيريا والدول المجاورةلها جاليات إسلامية من أصل برازيلي، وأسماؤهم لازالت برتغالية إلى اليوم »[2].

إن عملية القمع التي عانت منها الجالية الإسلامية بعد هذه الثورة علمت على تشتيت قوتها وتفرقتها، حكم بالإعدام على أربع إفريقيين بالإعدام على الرغم من عدم كونهم من الزعماء ليكونوا مثالا لباقي الثوار، ونال المئات الجلد وغيرهم السجن، وتم نفي الأحرار منهم إلى إفريقيا، وبيع الآخرون إلى مناطق أخرى في البرازيل، واعتبر مشبوها أي إفريقي يحمل أوراقا باللغة العربية[3].

لقد أثرت الثورة على كل البرازيل، وانتشر خبرها في صحف أمريكا الشمالية والصحف الإنجليزية، وكانت سببا مباشرا لصدور القرار الخاص بتحرير

---

1 الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي، سيد عبد المجيد بكر ص 340.

2 المسلمون في أوروبا وأمريكا، الدكتور علي المنتصر الكتاني ج2ص252.

3 مسلية الغريب، باولو دانيا ص 41 ,40.

العبيد والقضاء على تجارة الرقيق والذي وقعته الأميرة إيزابيل في ٣١ مايو عام 1888م في دولة البرازيل.

على الرغم من عظم التضحيات التي قدمت من قبل المسلمين الأفارقة للحصول على حريتهم، وبالرغم من الملاحقات والتعذيب والتشريد، إلا أن المسلمون ظلوا محافظين على دينهم وبقي الإسلام في البرازيل لسنوات عديدة بعد ذلك، حاول المسلمون خلال هذه الفترة تنظيم أنفسهم، والتواصل فيما بينهم رغم بعد المسافات، وقلة وسائل النقل آنذاك، إلا أن تعاليم الدين الإسلامي كان قد أصابها الكثير من التبديل والتحريف، ساهمت فيه العوامل السابقة، إضافة لاختراق بعض اليهود لصفوف المسلمين لكي يفسدوا عليهم دينهم.

كان الاعتقاد السائد لدى الدارسين لتاريخ الإسلام والمسلمين في البرازيل أن قصة المسلمين الأفارقة الأوائل الذين عاشوا في البرازيل تنتهي بثورة 1835م في ولاية باهيا، إلى أن وصلتنا هذه المخطوطة لتستكمل حلقة مفقودة في تاريخ المسلمين في البرازيل ولتؤكد أن الإسلام استمر تواجده وبفاعلية في دولة البرازيل وإن كان مستترا لسنين طويلة بعد هذه الثورة، حاول المسلمون خلالها أن يتوحدوا وكان هناك تواصل منظم بين تجمعاتهم المنتشرة في دولة البرازيل الكبيرة، ومارسوا شعائر دينهم التي شابها الكثير من التحريف نتيجة قتل مشايخهم واندساس بعض اليهود بينهم والذين عملوا على تبديل أوليات الدين الإسلامي، ولذلك كانوا حريصين على بقاء الشيخ عبد الرحمن البغدادي بينهم لكي يعلمهم أمور دينهم كما سيتبين لنا من قراءة المخطوطة.

رؤيا الشيخ البغدادي

« في ليلة والنوم أسبل علي و السنة، رأيت مايرى النائم أني في كنيسة قائم، كاشفا عن رأسي مثل النصارى لابسا لباسهم لا أتوارى، متمثلا بين يدي الصورة التي هي رسم ذات عيسى المطهرة، ومعي أقوام أقول لهم قولوا قل هو الله أحد الله الصمد .. الخ، فقمت مرعوبا من هذا المنام وقصصته على أصحابي فقالوا أضغاث أحلام، ولكن احذر من الذنوب فإنها مشوهة للقلوب، وبعضهم قال غير ذلك والله تعالى أعلم بما هنالك »، رؤية رآها الشيخ عبد الرحمن البغدادي [1] قبل 15 عاما من وصوله إلى البرازيل، ورواها في مخطوطته مسلية الغريب[2].

هذه المخطوطة تعد بلا شك عمدة للدارسين والمتابعين لتاريخ المسلمين في البرازيل، لأن من كتبها عالم جليل وأديب مخضرم، استطاع أن يصف كل مارأى، وأن يضع تصوراته لإنقاذ الجالية المسلمة في ذلك الوقت، لقد أضافت هذه المخطوطة بعدا آخر على تاريخ الإسلام والمسلمين في البرازيل.

---

1 عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الدمشقي، ولد في مدينة بغداد ثم انتقل إلى مدينة دمشق، ومنها إلى عاصمة الخلافة العثمانية حيث عين إماما للبحرية العثمانية من قبل أمير البحر في ذلك العهد محمد صالح آتيش باشا، لم تتوفر لدي معلومات مفصلة عن الشيخ عبد الرحمن البغدادي غير التي ذكرها في مخطوطته.

2 مخطوطة للشيخ عبد الرحمن البغدادي سماها « مسلية الغريب بكل أمر عجيب «يروي فيها رحلته من استنبول وصولا إلى البرازيل، ومدة الثلاث سنوات التي قضاها هناك بين المسلمين، وعودته إلى مكة ثم الشام ونهاية باستنبول مرة أخرين والمخطوطة موجودة في مكتبة برلين وتعد من أدب الرحلات.

كان الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الدمشقي، عالما أديبا ذو مواهب متعددة، يكتب الشعر والأدب، ويتقن العلوم المختلفة إضافة للعلوم الشرعية، ويتقن اللغتين العربية والتركية، وكان محبا للسفر والتجوال، ولقد سافر إلى الدولة العلية العثمانية في الأستانة وكان ذلك في عهد السلطان عبد العزيز الأول[3]، وترقى في المناصب ليصير إماما للبحرية العثمانية، وحينما علم أن هناك سفينتان ستسافران إلى البصرة مرورا برأس الرجاء الصالح طلب الإذن لمرافقة إحداهما وكان ذلك في عهد أمير البحار محمد صالح آتيش باشا، وكان قصد الشيخ كما ذكر « فطلبت المسير بإحداهما قصدا للسياحة والتأمل بكل ساحة، إذ هي تزيد اليقين ويتأكد بالنظر لعظمة القدير المبين »[4]، وقد بدأت الرحلة في أوائل جمادى الأولى سنة 1282 هجرية، وحينما وصلت السفينتان للمحيط الأطلسى هبت عاصفة قوية، وحملتهما إلى بلاد بعيدة تبين بعد ذلك أنها « ريو دي جانيرو »[5] عاصمة دولة البرازيل في ذلك الوقت، وهناك قرر الشيخ البغدادي أن يبقى في البرازيل بقصد تعليم المسلمين « وهناك تركت البوابير لأجل تعليم المسلمين الذين بهذه البلاد مقيمين محتسبا لوجه رب العالمين »[6].

---

3 السلطان عبد العزيز بن الخليفة محمود بن عبد المجيد تولى الخلافة 1277هـ وعزل منها 1293هـ، قام بالعديد من الإصلاحات في الدولة العثمانية وطور الجيش والأسطول البحري العثماني ليصبح ثالث قوة بحرية في ذلك الوقت، ورفض كافة الدساتير الأوروبية، هذه التغيرات التي لم ترق إلى الغرب فقاموا بتشويه صورته، فتم العمل على عزله ثم اغتياله بعد ذلك.

4 مخطوطة مسلية الغريب.

5 مدينة ريو دي جانيرو « نهر يناير»، تم تأسيسها عام 1565م، ويبلغ عدد سكانها 13 مليون نسمة، العاصمة السابقة لدولة البرازيل بعد أن كانت باهيا العاصمة الأولى، من أجمل مدن العالم وتقع على المحيط الأطلسي.

6 مسلية الغريب.

أول لقاء للشيخ مع المسلمين في البرازيل

يروي الشيخ البغدادي أول لقاء له مع المسلمين في مدينة ريو دي جانيرو فيقول « في اليوم الذي وصلت فيه البوابير إلى ريو دي جانيرو أجرت نظامات الدول من إطلاق المدافع النارية وإظهار الشنان للعساكر الشاهانية وفي اليوم التالي خرجت ضباط العساكر الإسلامية للتفرج على هذه البلدة السنية وكذلك الداعي، فلما وافيت الأسكلة وشاهدت الصور والأمثلة، فإذا برجل من السودان قدم علي وأشار بقوله « السلام عليكم » إلى وخصني بها من دون القوم بالتعظيم لأن لباسي مشتملا على العمامة والهيئة الرسمية وفيه الإشارة العلمية، وبما أن لباسه لباس طوائف الأفرنجية مارددت عليه هذه التحية وظننت أنه تعلمها للاستهزاء وخاطبته بالعربي والتركي فما فهم ولا بالإيماء بل تكلم بلغة البرتكزية، فسرت وما ألقيت له بالي لما غلب على ظني أنه مستهزيء بالكلية، فتفرجنا في ذلك اليوم على بعض ما سأذكره وإليه أشير ورجعنا في المساء إلى البوابير، كل منا بالسلامة قرير لأننا لاقينا في الطريق نوعا من الشدة والضيق، وبعدها وردت متفرجوا الإفرنج من كل فج عميق وأذن القماندار لهم بالتفرج وأعد ذلك من مكارم دولتنا العلية وقصدا لإشهار فضلها ولو كانت عن ذلك غنية، فدخل أمم لاتحصى ومن جملتها بعض من السودان وحين دخولهم كل منهم يبادر بالسلام ويقول « إيو مسلم »[1] فما فهم أحد من ضباط العساكر ماقال لأنه ليس

[1] هذه كلمة باللغة البرتغالية « Eu Muslim » وتعني « أنا مسلم ».

فيهم من يتكلم بالبرتكيز بل يعرفوا لغتي الفرنسيس والإنكليز، فخاطبوهم بهما فما فهموا ماخوطبوا ومكثوا قليلا وذهبوا وبعد أن قل المتفرجون بمدة قليلة جاء من هذه السودان شرذمة جليلة وتكلموا مثل الكلام الأول وقعدوا عندنا إلى وقت الظهيرة فقمنا إلى أداء مافرض الله تعالى علينا فقاموا جميعا وتوضأوا وصلوا مثلنا، فتحققنا أنهم مسلمون ولواجب الوجود يدينون، فأخذنا لذلك العجب وتمايلنا من الطرب، وأظهرنا لهم الإكرام وحسن الالتفات التام ».

في مساء هذا اليوم طلب المسلمون الإذن بالإنصراف، وعادوا في بعد ذلك ومعهم مترجم يجيد اللغتين العربية والبرتغالية، لاحظ الشيخ البغدادي أنهم حاسري الرؤوس وكان ذلك يعد نقصا في المروءة في ذلك الوقت، ومع ذلك أظهر لهم البشاشة وقام بواجبهم بكل احترام، وقام بعمل اجتماع ليتعرف على أحوالهم فأخبره هذا المترجم أن هؤلاء العبيد جلبوا من إفريقيا قبل 60 عاما وكانوا أسرى للحروب التي وقعت في ذلك الوقت بين الممالك الإفريقية، وأنه تم جلب أكثر من 50 مليونا إلى الأمريكتين.

ذكر الشيخ البغدادي على لسان المترجم « والمسلمون منهم طائفة قليلة غير أن قلوبهم بالجهالة عليلة، لأنهم خرجوا من بلادهم صغار مافيهم من تعلم دين النبي المختار، ولما شاهدوكم زاد بهم الفرح وزال عنهم الترح، ومرادهم أن تذهب معهم إلى دورهم وتنظر في أمورهم، كي يتعلموا منك اللازم من الدين وتطمئن قلوبهم عن يقين »

كانت هذه دعوة صريحة من المسلمين للشيخ البغدادي لكي يصحبهم ويتعرف على أمورهم ويعلمهم مبادئ الدين ويطمئنوا على إسلامهم، ولذلك

طلب الشيخ من القماندار الإذن بالذهاب معهم بعد أن شرح له قضيتهم، فأذن له واعتبر هذا الطلب من المسلمين دليلا على ثبات الإسلام في صدورهم، وطلب منه أن يطلب منهم صالح الدعاء له، وكان الإذن يتطلب أن يبقى معهم الشيخ لأيام قليلة يعود بعدها للسفينة حتى تستمر رحلتهم مرة أخرى.

ملاحظة ودراسة واقع المسلمين

لقد بدأ الشيخ البغدادي يسجل ملاحظاته حول سلوكيات المسلمين حتى يستطيع أن يشخص أمراضهم ومن ثم يجد العلاج الناجع وقد تبين له أنهم شديدي الجهل « رأيت من جهلهم مايبهر الأفكار »، وخلال هذه الفترة لفت انتباهه أمرين، الصلاة والمترجم.

أولا : الصلاة

لاحظ أنه حينما صلى بهم المغرب وعند قيامه لأداء السنة اقتدوا به، فطلب منهم أن يصلوا فرادى ففعلوا، يقول فرأيت الرجل منهم بعد أن ينوي تكبيرة الافتتاح قائما يميل مرة لليمين ومرة للشمال ويسجد للأرض لاثما بلا ركوع ولاسجود ولاقراءة ويكرر ذلك ماشاء بدون الجلوس الأخير فارشا للرمل الأبيض عوض الحصير ويخرج منها بدون سلام ويقول مايريد فيها من الكلام متوشحا بوشاح أبيض وبعضهم ازرق وإذا ضايقه البلغم أعد كاسة بها بصق.

ثانيا : المترجم

لاحظ أن الناس يعظمون ذلك المترجم، ويستفتونه في كل صغيرة وكبيرة، فتشكك أن يكون هو الذي علمهم هذه الطريقة الخاطئة في الصلاة، فسأله الشيخ عن دينه، فقال المترجم أنه مسلم ولكنه خرج من بلده وهو صغير

السن وليس لديه الكثير من العلم والمعرفة بالدين، ومع ذلك فهو أعلم من هؤلاء المسلمين المتابعين له.

ومما زاد شك الشيخ البغدادي في هذا المترجم أنه قال له أنهم في بلاد الأجانب ولايقدرون على أداء الفرائض، وضرب مثالا على ذلك أنه في رمضان الماضي اكتفى بصيام 15 يوما من رمضان لشدة الحرارة وأنه ليس عليه ذنب ولالوم ولايجب عليه إعادة الصوم، هذا الكلام جعل الشيخ يتأكد أن ذلك المترجم يخفي شيئا عظيما « فتعجبت من خلط جوابه ونفر طبعي منه لتزويق إرابه ».

تعامل الشيخ مع هذا الواقع بشيء من الحكمة، ومن خلال دراسة الخطوات التي اتخذها معهم لبيان الحق وتعليمهم أصول الدين يتبين لنا أننا أمام عالم وداعية من طراز فريد، إذ لم ينكر عليهم صراحة أفعالهم ولا على هذا المترجم، وذلك خوفا من نفورهم وكسر خواطرهم، بل استحسن ماعملوه، وطلب من المترجم أن يطلب منهم الاقتداء بأفعاله.

استجمع الشيخ البغدادي فكره وحواسه ورأى ضرورة أن يبدأ معهم بأمور العقيدة قبل تعليمهم الوضوء والصلاة، وكذلك لم يظهر لهذا الترجمان أنه اكتشف أمره لأنه محتاج إليه لترجمة ماسيقوم به من أمور التعليم يقول الشيخ « ثم ضربت أخماس في أسداس وجمعت فكري والحواس، أني إذا التفت إلى تعليم القوم كيفية الوضوء والصلاة والصوم، فاتني تعليمهم الفرض الأعظم الذي هو على كل فرض مقدم، وهو معرفة واجب الوجود والقدم، وكذلك إن أظهرت للترجمان ماتحققته من الزور والبهتان عدمته لأني محتاج إليه في مادة اللسان كيف وقد فهمت أنه ليس في هذه البلاد غيره يرتجى في الترجمة خيره، فكتمت سري وطلبت المعونة ممن يعلم

أمري، وبدأت أولا في التكلم على معرفة الباري المتعال المنزه عن النظير والمثال ».

واستمر الشيخ البغدادي على هذا الحال ثلاثة عشر يوما يصل الليل بالنهار، ويكرر مجالس الوعظ، ويزين دروسه بذكر صفات المولى سبحانه وتعالى ومحاسن النبي محمد صلوات ربي وسلامه عليه، وكانت هذه العملية تتم في دار كبيره استأجرها المسلمون لهذه الغاية، وواضح أنهم لم يطلقوا عليها اسم « مسجد » لتخوفهم من الدولة ورقابتها الصارمة ضد أي مظاهر إسلامية في ذلك الحين.

بعد هذه المدة تبين للشيخ من خلال فهمه وفراسته أن كلامه ووعظه لم يغير شيئا من سلوك المسلمين، فرد هذا الأمر إلى أمرين، الأول إما أن يكون هذا المترجم لايحسن التكلم باللغة البرتغالية ولايستطيع ترجمة هذه الأمور العلمية، أو أن يكون المترجم قد فهم مقصود الكلام ولكنه بدل وحرف فيه كما يشاء وهذا الاحتمال هو الذي تحقق الشيخ منه بعد أن أتقن اللغة البرتغالية.

لم يعر الشيخ القضية الاهتمام اللازم لأنه كما قال « ولكن لعلمي أن هذه المدة قصيرة ولست من أمري على بصيرة، قلت مابيدي حيلة أكثر مما أظهرته ولا أقدر على زيادة مما أبديته، ولا أعلم لسان القوم » وطلب منهم الإذن وعاد مرة أخر ى للسفينة، مع وعد لهم بأن يعود مرة أخرى.

تأثر الشيخ البغدادي تأثرا شديدا بواقع المسلمين المؤلم، ولدى وصوله للسفينه استقبله القماندار وكان مشغول البال عليه، ودار بينهما حوار طويل بدأه القامندار بالعتب عليه أنه قد تأخر كثيرا وطلب منه أن لايذهب مرة

أخرى لهؤلاء المسلمين، وعلل ذلك بأمرين، الأول أنه توجد اتفاقيات بين الدول تمنع التدخل في الشؤون الداخلية، ولو علمت دولة البرازيل بما قام به الشيخ لحدثت أزمة بينها وبين الدولة العثمانية ويكون القماندار هو المسؤول، والثاني أن المسلمون في البرازيل يكتمون إسلامهم وقد عرف ربان السفينة ذلك من خلال سؤاله لبعض الإنجليز، وأن السلطات الحاكمة تعتبرهم نصارى.

هذا الحديث لم يمنع الشيخ البغدادي أن يصف مارأى وشاهد ويترك لقائد السفينة أن يفكر في الأمر جيدا، فالموضوع يتصل بأخوة له في الدين سيطرت عليهم الجهالة وهم بحاجة إلى من يعلمهم قال الشيخ « فقلت إن ماذكرت قرين الأصول فاسمع ما أقول إن هذه الأهالي غلبت عليهم الجهالة وهم منها في أسوأ حالة، وشرحت له بعض ماشاهدت من صلاتهم وماهم فيه ».

هذا الحديث أثر في ربان السفينة ولكنه وقع بين نارين إن سمح للشيخ بالبقاء على أرض البرازيل لم يسلم من اللوم من الدولة العثمانية، وإن لم يسمح له يخشى من بطش المولى سبحانه وتعالى، وصعوبة الجواب يوم القيامة إذا ماسئل عن هؤلاء المسلمين، وخصوصا أنهم أول من التقى بهؤلاء المسلمين وعلموا ماهم عليه من الفساد والتحريف، والواجب يملي عليهم أن يقوموا بعملية الإصلاح، وظل النقاش مستمرا والتفكير في هذه القضية يستحوذ عليهم مدة ثلاثة أيام، واوكلوا الأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

كان المسلمون قد نفذ صبرهم وقرروا العودة إلى السفينة ومقابلة ربانها والحديث معه مباشرة وإقناعه بضرورة بقاء الشيخ البغدادي معهم، وفعلا

جاء وفد كبير منهم ومعهم مترجم آخر يجيد الإنجليزية والبرتغالية وقالوا له « نحن مانريد منكم حطام ولانبغي حماية ولاعن أنفسنا وقاية، فقط نريد منكم التعليم لهذا الدين المستقيم، لأننا كنا نظن أنه ليس في الدنيا سوانا مسلمين وأننا على الطريق المبين وأن جميع البيضان هم طوائف الخرستيان، إلى أن من الله تعالى ورأيناكم فعلمنا أن ملك الباري واسع والدنيا ليست بلاقع بل معمورة بالمسلمين فلا تبخلوا علينا بتعليم هذا الدين، وإن قلتم لنا هاجروا إلى بلاد الإسلام وتعلموا الصلاة والصيام نقول إن علينا من الشروط من كل أمر منوط، إن من هاجر منا بنفسه يخرج من حطام الدنيا وما خوله لنفسه ويتركه للدولة خالصا ولا يكون في إعطائه حائصا، وهذا مما يصعب على النفوس حيث هذه البلاد صارت لنا وطنا مأنوس، فاعمل معنا هذا المعروف وأنقذنا من هذا الأمر المخوف، واسمح لنا بالباباز بوجه الانجاز ودعوا له بصالح الدواعي ».

كانت هذه الكلمات كافية لتحريك مشاعر ربان السفينة للاستجابة لطلب المسلمين، فقد أوضحوا أنهم لايريدون شيئا من حطام الدنيا وأنهم لايطلبون الحماية، وكل مايحتاجونه أن يتفقهوا في دينهم، وواضح من أقوالهم أنهم كانوا يعرفون مفهوم الهجرة، غير أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنون برازيليون، وهذا يدل على سعيهم لتوطين دعوة الإسلام في البرازيل، كذلك كان الكثير منهم مايزال تحت العبودية لأنه كان يدفع مستحقات حريته لسيده.

أرسل القماندار واستدعى الشيخ الذي رأى المسلمون فاستخبر عن أمرهم فأخبره قائد السفينة بما دار بينهم وخيره بين البقاء مع المسلمين أو السفر وجعل القرار النهائي له، لم يتردد الشيخ البغدادي لحظة واحدة وهكذا

عهد العلماء فقال « أذهب معهم وأبذل نفسي ولو لاقيت رمسي وأطلب بذلك رضاء الله وأساله التوفيق لما يحبه ويرضاه »، وطلب من المسلمين حمل أمتعته وكتبه، لقد تحركت مشاعر العالم الصادق والداعية الحريص على هداية الناس، وهو يعلم علم اليقين أن هناك مخاطرة كبيرة لبقائه في البرازيل، لأن أمر الإسلام مستتر عن العيون، ولو علمت الحكومة البرازيلية في ذلك الحين أو شعرت بأي مظاهر إسلامية يكون جزاء صاحبها الإعدام أو الحبس أو النفي، لقد أعلن الشيخ البغدادي أنه ماض في طريق الدعوة حتى لو قدم نفسه رخيصة إذا كان العوض هو نيل رضوان الله تبارك وتعالى.

كانت هذه ليلة الوداع بين قائد السفينة والشيخ البغدادي « وفي هذه الليلة سهرت مع جناب القماندار وليس معنا ثالث سوى المنزه عن أن يشبه بحادث »، وطال الحديث بينهما وامتد إلى صلاة الفجر واتفقا على جملة أمور مهمة تدل على وعي شامل من القبطان والشيخ بأمور الدعوة الإسلامية، وكذلك تسهل مهمة قائد السفينة حينما يرجع إلى تركيا بدون الشيخ البغدادي « واتفقنا على الكتمان والقناعة، وأن لا أحمل القوم مالا يطيقون دفاعه »، هذين أمرين هامين في الدعوة إلى الله وخصوصا في الظروف التي كان يمر بها المسلمون في البرازيل كانت تقتضي الكتمان حتى لايفضح أمرهم وتقضي الدولة عليهم قضاء تاما، وكذلك عدم حوث أزمة بين حكومة البرازيل والدولة العثمانية بسبب وجود الشيخ البغدادي، والأمر الآخر أن ييسر الشيخ الأمور الدعوية وأن يكون خفيفا عفيفا مع هؤلاء المسلمين.

من جانبه وحتى تسيرالأمور بشكل طبيعي أمام الحكومة البرازيلية، قام قائد السفينة بإرسال رسالة إلى الحكومة البرازيلية يبين فيها أن الشيخ البغدادي خرج متفرجا على بلدة « ريو دي جانيرو » وقد أعجب ببساتينها وجمال مبانيها،وتأخر في العودة إلى السفينة ، وأنه على عجلة من أمره ولابد له من الرحيل، فجاء جواب الحكومة البرازيلية بأنه يستطيع الرحيل ومتى عثروا على الشيخ البغدادي سيرسلونه مكرما على أول سفينة، وبهذه الطريقة أمن قائد السفينة نفسه وكذلك العلاقات بين الدولتين من أن تصاب بانتكاسة ويكون هو السبب في ذلك.

استقبل المسلمون الشيخ البغدادي بالفرح والسرور، وكان الشيخ قد بدأ في رسم خطة لملامح العمل الدعوي والتحرك وسط الجالية المسلمة خلال الفترة القادمة، فما هي معالم هذه الخطة ؟ وكيف تعامل الشيخ مع المشاكل المختلفة التي كانت تمر بها الجالية ؟

٢- مخطوطة الشيخ عبد الرحمن البغدادي « مسلية الغريب بكل أمر عجيب »، تأصيل تاريخي ووصف متميز لعالم جليل وداعية من الطراز الأول، وصل قدرا إلى أرض البرازيل بداية عام 1866م بعد أن حملت الرياح سفينته لترسو على ساحل مدينة « ريو دي جانيرو » البرازيلية، حيث التقى هناك بمجموعة من المسلمين الأفارقة، الذين طلبوا منه البقاء لتعليمهم أمور الدين الإسلامي، وقد قبل الشيخ البقاء وذلك بعد مرور ثلاثة أيام كان قد قضاها في التشاور مع قائد السفينة حول وضع المسلمين في البرازيل والجهل الذي أصابهم، وتبديل شعائر دينهم، وكانت قد تبلورت لديه بعض الأفكار الرئيسية لعملية الإصلاح التي عزم القيام بها.

المسلمون في مدينة « ريو دي جانيرو »

بمجرد وصول الشيخ للإقامة مع المسلمين في مدينة « ريو دي جانيرو » قام بعملية حصر لأعدادهم فتبين أنهم 5.000 خمسة آلاف مسلما على وجه التقريب، ثم بدأ بعد ذلك دراسة ومتابعة أسباب انحطاط المسلمين وبعدهم عن شعائر الإسلام ووجد أن مرد ذلك للأسباب التالية.

١- الجهل بتعاليم الإسلام الأساسية.

٢- دور المترجم اليهودي الخبيث في تحريف الدين الإسلامي.

٣- الكنيسة وعملية التعميد الإجبارية.

٤- محاربة الدولة لأي مظهر إسلامي.

أولا جهلهم بتعاليم الإسلام :-

حصر الشيخ مظاهرها في بعض الأمور، منها عدم حفظهم للقرآن الكريم ومن كان منهم يقرأ إلى سورة عم كانوا يعدونه عالما كبيرا، وكانوا يحتفظون بالمصاحف في الصناديق بغاية البركة، وعند تلاوتهم للقرآن يصعب نطقهم 10 أحرف من حروف اللغة العربية، ومخالفة طريقة صيامهم للتعاليم الإسلامية، وعدم حجاب نسائهم، وشربهم للخمور، وعدم معرفتهم

بالمواريث واتباعهم للعادات البرازيلية في ذلك، وانتشار الكهانة، وحب زعمائهم للرئاسة والدنيا على حساب السعي لتوحيد المسلمين.

إبتدأ الشيخ بالعناية بأمور التعليم لأهميتها وقسم النهار أقسام، لكثرة من كانوا يترددون على الدار حتى وصلوا 500 مسلما، وقد قام باختيار الأطفال والراغبين في التعليم من الرجال، ولاطفهم في الأقوال والأعمال وأيقظ همتهم وبالهم، حتى ظهر فيهم الصلاح، واستطاعوا أن ينطقوا الحروف بشكل سليم.

وقام بعمل درس عام لأجل تعليم قواعد الإسلام بعد صلاة الظهر، وقام بتحفيظ الصغار والكبار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الإسلام على خمس »، وقام بتأليف رسالة خطها باللغة العربية وكلامها باللغة البرتغالية، جمع فيها التعريف بصفات الله تبارك وتعالى، وكذلك التعريف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفرائض الوضوء والصلاة والصوم والحج والزكاة، وضمنها كلمات نافعة ومواعظ مختلفة، قال الشيخ « وأغلب القوم حفظوا الرسالة واستوعبوا المقالة فظهر عليهم تغيير الحالة وصاروا يتوضؤون وللخمس يصلون وبالصلاة يقرأون ».

نلاحظ من خلال استقراء المخطوطة أن عملية تعليم اللغة العربية للمسلمين أخذت حيزا كبيرا من تفكير وتربية الشيخ لهم و شهدت هذه العملية تقدما ملحوظا، تمثل في إخراج الناس المصاحف من الصناديق بغرض القراءة، ولمس المسلمون حاجتهم لأعداد جديدة من المصاحف لقلة ماكان في حوزتهم، وكان الشيخ البغدادي لايدخر جهدا في البحث عن مصادر للحصول على كتب تعينه في التعليم « صادف أني نزلت يوما للأسواق

للفرجة على بديع الخلاق فمررت على دكانة رجل يبيع الكتب الخرستانية فدخلت لعلي أرى كتابا في ترجمة العربية والبرتكيزية »، حيث وجد بين الكتب مصحفا باللغة العربية مطبوع في فرنسا، وبسرعة تلقاه وراجعه فلم يجد فيه تحريفا، فاشتراه بليرة فرنسية وأخبر صاحب المكتبة بحاجته للمزيد من المصاحف ودفع له عربونا، وفعلا وصلت المصاحف واشتراها المسلمون حتى كثرت بينهم، كتب الكونت جوزيف آرثر دو كوبينو (1816-1882) الممثل الديبلوماسي الفرنسي في البرازيل أن الفرنسيين فوشون وديبون كانوا يبيعون سنويا للمستعبدين وللذين نالوا حريتهم حوالي 100 نسخة من القرآن الكريم، إضافة إلى كتب قواعد اللغة العربية مع شرح بالفرنسية[1].

وقد اعتمد الشيخ في خطابهم، وكذلك في الأحكام الفقهية التي يفتي بها على الأسهل الموافق لأحكام الشريعة من المذاهب الأربعة، وعلل ذلك بقوله « خوفا على قلوبهم من النفار أو أن يستثقل أحد منهم دين النبي المختار صلى عليه مدبر الليل والنهار ».

بالنسبة لصيام شهر رمضان فقد رده الشيخ إلى وقته الصحيح وأعلن بذلك في جميع الدولة البرازيلية، وكان قد لاحظ أن المسلمين لايبلعون ريقهم أثناء الصيام، وإن كانوا في الصلاة بصقوا في كأس أعدوها لذلك، ولاينظرون في المرآة، ولايضاجعون نساءهم ولايكلمونهن إلا بعد الزوال، ويأكلون قبل الشمس ويفطرون عند العشاء، وفي آخر رمضان يصومون ثلاثة أيام متتالية لايأكلون فيها شيئا غير نوع من أنواع الشراب يشربونه عند

1 J-F de RAYMOND (ed), Arthur de Gobineau et le Brasil: correspondence diplomatique de France a Rio de Janeiro,Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble, 1990 :143-148 .

الإمساك والإفطار، والنساء لايصمن خلال هذا الشهر الكريم، وقد عمل الشيخ على بيان فساد هذه الأمور وعلمهم الدين الصحيح.

أما بالنسبة لحجاب النساء والمواريث، فقد لاحظ الشيخ أن النساء كن يتمددن في الأسواق على ظهورهن مثل نساء الإفرنج بغير حجاب، وتتعاطين المنكرات، وترث المرأة من زوجها النصف إذا مات والنصف الآخر يوزع بالسوية بين الذكور والإناث، فقام الشيخ ببيان الحق في هذه المسألة ولكن هذا الأمر لم يرق للنسوة، فترك الأمر لهم على الاختيار بدون مشاحنة حتى لايتنازعوا وينكشف أمر إسلامهم للدولة البرازيلية «وقد أعلنت وبينت للإسلام بعض طرايق من علم الفرايض وما بينه الله في كتابه المجيد وقلت من رضي بهذا التحديد فنعم ومن لم يرض شأنه ومايريد من اقتدائه بالديانة الإفرنجية ولاتشاحنوا ودعوا أحوالكم خفية، وذلك حينما رأيت عدم قبول النساء تلك القسمة الإسلامية ونفور طباعهم منها بالكلية».

لاحظ الشيخ انتشار علم الكهانة وخصوصا بين رؤساء العشائر وكانت وسيلتهم لجذب قلوب الأتباع والعشيرة، وقد بين لهم الشيخ أن هذه العلوم غير نافعة، وحرام تعاطيها أو العمل بها وبالغ في نهيهم عنها، وقال أنهم أظهروا تركها إرضاءا له فقط وأن من الصعب إزالة هذا المنكر لاعتمادهم عليه في كثير من الأحوال.

كما ركز الشيخ على انشغال زعماء العشائر بحب الدنيا والرئاسة، وسعي كل عشيرة لاحتواء الأخرى وقلة المحبة فيما بينهم، ولقد حاول الشيخ أن يؤلف قلوبهم ويزيل عيوبهم وواضح أنه استطاع في بعض الأمور أن يصل لمراده، وأخفق في بعضها.

ثانيا المترجم اليهودي وتحريفه للدين:

حينما عاد الشيخ مع المسلمين للإقامة بينهم جاءوا بالمترجم ليكون أنيسا له، ولقد استفاد الشيخ منه في تعلم أصول اللغة البرتغالية، وساعده على ذلك كون جميع المسلمين لايتكلمون العربية مما جعله يتقن اللغة خلال فترة قياسية، وهو أمر مهم بالنسبة للداعية قال الله تعالى « وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »[2]، وبدأ في إلقاء الدروس والخطب وتفسير الأحكام واستغنى بذلك عن هذا المترجم الخبيث الذي لم يسترح له يوما وكان يتشكك في كونه مسلما، وبالفعل اختفى هذا المترجم عن الجالية المسلمة فترة من الزمن، قام خلالها الشيخ بجمع كل ماقام به هذا المترجم من التحريف والتبديل لدين الإسلام فوجد الكثير من الأمور التي يشيب من هولها الولدان.

كان أول ماحرف هذا المترجم هيئة الصلاة، حيث علم الأفارقة طريقة غريبة لأدائها، فقد كان الواحد منهم ينوي تكبيرة الإحرام ثم يميل قائما مرة لليمين ومرة للشمال، ويسجد للأرض لاثما بلا ركوع ولاقراءة ويكرر ذلك ماشاء بدون الجلوس الأخير ويخرج من الصلاة بدون سلام ويقول مايريد فيها من الكلام وإذا ضايقه البلغم أعد كاسة إلى جواره يبصق فيها.

أما تحريفه للصيام، فقد أباح للناس الإفطار في صيام رمضان وعلل ذلك بشدة الحرارة وقدم صيامه لشهر شعبان، وقد أخبر المترجم الشيخ البغدادي أنه أفطر 15 يوما في رمضان الماضي وأنه ليس عليه ذنب ولايجب عليه

2 سورة إبراهيم آية رقم 4.

الإعادة، وعلل ذلك بأنهم في البرازيل يصعب عليهم إقامة الفرائض وشعائر الدين.

وتحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قام هذا اليهودي الخبيث بتحريفها قال البغدادي رحمه الله « وفي بعض يوم جاءني رجل من أكابرهم ومعه آخر وبدء في السلام حسبما تعلموا من هذا الدليل كيفيته لأن كيفية سلامهم أن الرجل منهم حين دخوله يركع كاشفا عن رأسه ويلقي نفسه على البلقع ويضع رأسه ووجهه على الغبراء ولايرفع حتى يؤذن له وهو مخصوص في مجالس العلماء » وقد أوضح الشيخ أنه تخلص من هذه العادة السيئة.

ولقد أباح ذلك المترجم اليهودي للمسلمين شرب الخمر يقول الشيخ البغدادي « وكل منهم يشرب المدام ويضعونها على سفرهم بغير اكتتام، ودعاني بعض أكابرهم ووضع على السفرة مع الطعام قناني الخمر وأواني المدام، فعرفتهم بتحريم ذلك الأمر ، فقالوا إن اليهودي هو الذي أباح لنا شرب الخمر »، وقد استطاع الشيخ بفضل الله القضاء على شرب الخمر، وقد سأله بعض المسلمين عن بيع الموجود بحوزتهم، فأفتاهم أن الذي حرم شربه حرم بيعه « فسفح في هذه الليلة جملة أوعية وفية والبعض ماتركه بالكلية فأسأل الله أن يتفضل علي وعليهم بتوبة سنية وعلى جميع المسلمين إنه جواد كريم ».

أخطر الأمور التي قام بها هذا اليهودي الحاقد على الإسلام أنه قد فرض ضريبة على من يريد الدخول في الإسلام عبارة عن 20 ليرة من الذهب الأحمر، فقد جاء رجل من أكابر القوم إلى الشيخ البغدادي يريد اعتناق

الإسلام، وحينما وقف بين يديه أخبره أنه الآن قد اكتمل معه كامل المبلغ اللازم لاعتناق الإسلام، فتساءل الشيخ ولماذا المال ؟ فقال الرجل أن الترجمان كان لايقبل بدخول أحد في دين الإسلام إلا إذا دفع عشرين ليرة من الذهب الأحمر لاتنقص ليرة واحدة، وكان يقول لهم هذا ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء الذين كذبوا على الأنبياء ألن يكذبوا على خير الخلق صلوات ربي وسلامه عليه، وقعت هذه الكلمات على سمع الشيخ البغدادي وقوع الصاعقة فطلب جمع المسلمين لمؤتمر جامع حتى يبين لهم الحق في هذه القضية الخطيرة، « فحين سماعي زادت لوعتي وتصاعدت زفرتي وهطلت عبرتي، وحالا لقنت الرجل الذي مراده الدخول في الإسلام كلمتي الشهادة وأخرج المال فرددته عليه وأخرجت له مقدارا من الدراهم أهديتها مني إليه، وطلبت جمعية جميع المسلمين فبعد زمن قليل كل أخذ عندي مكانه بالتمكين، فحمدت مولى الإسعاف وصليت على سيد الأشراف، وقلت أيها الإخوان اعلموا أن السعيد من وفقه الله والشقي من طرد عنه فليستعد للانتقام ومن هدى الله به أحدا إلى هذا الدين خير له من حمر الأنعام، وأخذ الجائزة من الداخلين في عقد هذا الدين محرم باليقين، ومتى الرجل قال كلمة الشهادة كتب من أهل السعادة، له مالكم وعليه ماعليكم وينبغي أن تتلقوه بالإكرام ولايخطر بأذهانكم أنه لايظهر صدق الداخل في الإسلام إلا بدفع المال فهذا خلاف الحال فإن الإسلام له الظاهر والله يتولى السرائر والمقصود بذل المجهود بتكثير هذه الفرقة الإسلامية وإخلاص النية والطوية، ومازلت أقرع أذهانهم بالمواعظ بألطف عبارة وأكررها بأحسن إشارة، إلى أن جرت من عيونهم الدموع

وقالوا أيها (الفا)[3] الذي كلامه مسموع أنه لو علمنا أن الأمر كما ذكرت وسرنا على النحو الذي به سرت لكنا في بهذه البلاد ألوف وفي كل يوم ننوف لأن خلقا كثيرا مرادهم الدخول في ديننا ويمنعهم دفع المال، فقلت بادروا يرحمكم الله إلى إصلاح هذا الحال وإعلان ذلك المقال، وانفض المجلس في ذلك اليوم ».

هذا الكلام يدل على ماكان يتصف به الشيخ البغدادي رحمه الله من فهم عميق لأصول الدعوة وطرقها المختلفة، فبين أن هداية الناس للإسلام خير من حمر النعم، وحرم وأبطل أخذ المال من الناس نظير بيان صدقهم لاعتناق الإسلام، وأن الإنسان يكفيه أن يتلفظ بالشهادتين ليصبح مسلما ويكون من أهل السعادة والله يتولى سرائره، وأن الواجب على المسلمين أن يرحبوا به ويكرموه، والواجب هو بذل الجهد لإدخال الناس في دين الله، وقد بكى الناس من هذه الموعظة وبينوا له أنهم لو سلكوا هذا الطريق لكانت أعداد المسلمين في البرازيل بالآلاف، وقد طلب منهم الشيخ أن يهبوا للدعوة ويذيعوا بين الناس حقيقة ماحدث في هذا الاجتماع، ولقد كان لهذا الموقف ردة فعل قوية داخل المجتمع البرازيلي، حيث أسلم بعد ذلك 19.000 من الأفارقة يقول الشيخ البغدادي « ووردت بعدها إلى أقوام راغبين في دين الإسلام فاعتنيت بإكرامهم والتفت إلى تهذيبهم وتعليمهم، وكان عدة من أسلم في هذه البلاد تسعة عشر ألفا من العباد ».

تيقن الشيخ أن أفعال هذا المترجم لايمكن أن تصدر من مسلم فأرسل في استدعائه بعد مرور فترة من الزمن وواجهه مباشرة بسؤال « أما أنت

3 تعني عالم جليل عارف بمحكم التنزيل.

يهودي ؟ قال نعم غير أني لاأخاف منك ولامن هؤلاء القوم نزول النقم، فقلت لم فعلت هذا الفعال أيها الخبيث المحتال، فقال قصدا لإيذاء المسلمين وتماما لحصول نفعي المبين، لأني بسبب هذه الحيل نلت من الدنيا أكبر أمل ».

هكذا اليهود في كل زمان ومكان يعيشون على آلام الشعوب ويسعون إلى التبديل والتحريف للأديان والملل قال تعالى « كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ »[4]، « إن هذا الترجمان الخبيث يسمي نفسه أحمد وهو الذي لعقائد المسلمين بدل ولحسن جمع شملها فرق وبدد، لأنه كان عندهم الأول وعليه في أمور الفتاوى المعول، وهو مغربي الأصل من طنجة مجاور للمسلمين عارف ببعض كلمات من القرآن المبين، ولما جاء لهذه البلاد الغاربة كان ابتداء دخوله لابسا لباس المغاربة، فرأوه أسمرا فتلافوه واعتقدوه وهو يعرف لسانهم فبجلوه واحترموه، فصار يعلمهم اليهودية بالتدريج ويسلك بهم طريق الفساد الفجيج، وماعلمهم شيئا خاليا من القبح سوى الختان والذبح، لأنه يأكل معهم ويأبى طعام الخرستيان »

لقد اغتر المسلمون في هذا الرجل حينما رأوا لباسه المغربي، وكان أول من يصل إليهم من العرب، وكان يجيد البرتغالية، فاتبعوه ووصل بهم الأمر إلى فقدان الكثير من الشريعة على يديه وأصبح الدين ممسوخا ولم يبق لهم منه إلا الختان والذبح لأنه لم يكن يأكل من طعام النصارى، بعد هذا الاعتراف من ذلك اليهودي بإفساده لدين المسلمين وعدم خوفه منهم،

---

4 سورة المائدة آية رقم 64.

طلب المسلمون من الشيخ أن يفتيهم فيه وكيف يتصرفون معه، فغلب الشيخ المصلحة العامة للمسلمين وطلب منهم أن يتركوه لعقاب الله، لأنهم لو قاموا بأي تحرك ضده ربما ينكشف أمر إسلامهم للسلطات الحاكمة « فشاورني القوم في شأنه فقلت دعوه لمن يعلم بشأنه، لأنكم مستترون ومن الاشتهار تخافون، وذهب لافزعا ولاخائفا فلعنة الله عليه أنى كان واقفا ».

ثالثا الكنيسة والتعميد الإجباري للمسلمين :

مارست الكنيسة دورا غير أخلاقي كان يبدأ في إفريقا قبل شحن العبيد إلى البرازيل بإرغام المسلمين على التعميد وتغيير أسمائهم، ولابد من حصول من يتم تعميده على ورقة تفيد ذلك وإلا تعرض لكثير من الأذى طوال حياته، وكذلك كان يتم الأمر مع كل المسلمين في البرازيل يقول الشيخ البغدادي « وجميع المسلمين بهذه الديار يغطسون أولادهم بماء جرن المعمودية ... وسبب دخول المسلمين بهذا الشرك أن حين التغطيس يؤخذ ورقة من البترك وهي فلان بن فلان قد غطس وحضر تغطيسه فلان أحد الأكابر فيكون كأبيه الشحي ذلك الحاضر ويسأل عن الورقة بعد مدة فإذا ماوجدت وماوجد قيدها بالدفاتر يؤخذ للميري رأسا كالرقيق ولاينجو في كل عمره من الضيق » وهذا الأمر كان يندرج على مراسم الدفن فإذا لم توجد الورقة التي تفيد التعميد كان لايتم قبول دفن الميت وقد استطاع الشيخ أن يجد حلا لهذا الأمر بالتحايل على هذه القوانين الصارمة وقام بتغسيل بعض المسلمين ودفنهم تجاه القبلة ما استطاع إلى ذلك سبيلا « ولابد لكل ميت من المسلمين أن يأتوا له بأحد ماموري

البترك خانة وبعض الحكماء ويعطون ورقة ليد أهله بلا خفاء حتى أن بوابين المقابر يدفنوه وإذا لم توجد الورقة معهم لم يقبلوه فأشرت عليهم أن بعد مجيء المأمور يشلحوه ويغسلوه ويصلوا عليه وللمقابر يحملوه وماأمكن أن نظهر للدفن حيلة فإن خدام المقابر يضعوه كما يعرفون ولايراعون بذلك قبلة وغسلت في هاتيك المحلات بعض أفراد من الرجال قصدا للتعليم المسلمين كيفية الحال ».

رابعا محاربة الدولة لأي مظهر إسلامي:

لقد تعاونت الدولة مع الكنيسة للقضاء على أي مظهر إسلامي، ومع ذلك التضييق حافظ المسلمون على دينهم في الخفاء، حتى أنهم طلبوا من الشيخ البغدادي أن لايظهر بملابس العلماء حتى لايلفت النظر ويعرضهم للخطر « وكنت أشتهي أن البس لباسي المألوف إذا خرجت للتفرج في البلدة فيمنعوني المسلمون من ذلك ويقدمون إلى أعذارا عد منها أنك إذا لبست لباسك لانقدر على المجيء لعندك وذهب نفعك لأنه متى عرفك الخرستيان أنك مسلم ظنوا بنا مثلك »، وكانوا يؤدون صلواتهم في السر « الرجل منهم حين صلاته يغلق الباب ويتوارى عن الخلان والأصحاب ويصلي منفردا خوفا من أن تشتهر عليه الخرستيان »، وواضح أن أي تصريح بشعائر الدين الإسلامي أو مظاهره كان يعرض صاحبه لإحدى العقوبات التالية الحبس المؤبد أو النفي أو القتل « وأنكر المسلمون لهذا الدين خوفا من المهالك حتى إلى الآن إذا اشتهر النصارى على أحد من الإسلام ربما قتلوه أو نفوه أو مؤبدا حبسوه ».

صور من بذل المسلمين وتضحياتهم

برغم كل ماورد ذكره من أمراض اعترت المسلمين إلا أنهم حافظوا على دينهم وتوارثوه فيما بينهم، وحملت ذاكرتهم الكثير من شعائر الإسلام، صحيح أنه تم تشويه الكثير منها لأسباب خارجة عن إرادتهم ولكنهم احتفظوا بمقومات أخلاقية حصر الشيخ البغدادي الكثير منها، فلقد كان لديهم زهد فيما يد غيرهم تجلى ذلك في خطابهم لقائد السفينة التي حملت الشيخ البغدادي للبرازيل « نحن لانريد منكم حطام »، وكانوا يحافظون على صلواتهم سرا فمنهم من كان يقطع عمله ويغلق دكانه لواجب الصلاة، ومنهم من كان يعود لمنزله ليؤدي هذه الفريضة، وكان بين المسلمين الكثير من المحبة التي كانت تغري غيرهم من الأفارقة وتحفزهم لاعتناق الإسلام حتى يصيروا جزءا من الأمة الإسلامية « وعندما ينظرون إلى الطائفة الإسلامية منهم وأنهم شديدون المحبة لبعضهم تأخذهم غيرة جنسية ويدخلون في دين الإسلام بأنفس شهية والله الموفق لمن شاء وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الأعضاء ».

وكانوا ينفقون من أجل الحفاظ على الدين سواء بشراء الكتب أو بتأجير المصليات وأماكن تجمعهم يصف الشيخ البغدادي الدار التي أعدها المسلمون للتعليم واللقاء فيما بينهم فيقول « وكنا في دار عظيمة البناء واسعة الفنا بعيدة عن السكان قريبة من القيعان أعدوها لأجل هذه القضية بأجرة وفية ».

سجل الشيخ البغدادي مشاهداته عن الأرض والعمران والنبات والفواكه ووصف كل مارأى في مدينة « ريو دي جانيرو »، وهذه المشاهدات تحتاج لتحليل خاص، ولكن أهم مايلفت النظر هو حرصه على مشاهدة ومعرفة ماكان يدور في المناسبات المختلفة وخصوصا اليوم الذي كان يحتفل فيه البرازيليون برفع المسيح.

ومن كثرة حديث المسلمين عما يصير في ذلك اليوم من أعاجيب قرر الشيخ أن يرى بعينيه هذا الأمر يقول « ثم وهذا الداعي بهذه البلاد في اليوم الذي يصادف به رفع عيسى بن مريم عليهما السلام وهو اليوم الذي يعتقد الخرستيان به صلب ذاته المشرفة نزل إمبراطور برازيليا إلى الكنيسة العظمى عندهم وصحبته البترك الكبير وهما بالألبسة التي يظهر عليها الحزن وجميع العساكر والمراكب منكسين البواريد والإشارات وجميع الأهالي كذلك بادين الحزن والكآبة أرخى عليهم الحزن جلبابه، وقد أخبرني بعض المسلمين عن أعجوبة ذلك اليوم المهين فكنت للاطلاع على ذلك من المبادرين وذهبت مع جملة من المسلمين كل منا عليه لباس الإفرنج فدخلنا الكنيسة فرأينا الإمبراطور والبترك وقوفا على يمين الصنم الذي هو بالفضة والذهب معلم ثم اشاروا بالسجود على ركبهم باركين رافعين أيديهم كالمستجيرين وأظهروا هيئة العبودية لتلك الصورة الرسمية فلما رأى الداعي فعالهم اقشعر مني الجسد وقلت لرفاقي قولوا قل هو الله أحد .. الخ وذلك سرا مرة بمرة وفي ذلك الوقت تذكرت ذلك المنام الذي رأيته قبل هذه الأعوام فكان عين اليقين بلا شبهة ولا مين »، كان هذا تفسير الرؤية التي رآها الشيخ البغدادي والتي بدأنا بها الحلقة الثالثة من تاريخ المسلمين في البرازيل، قبل أن يعلم أنه سيعيش على أرضها في يوم من

الأيام، ولم يكن يدر بخلده أنه سيتعرض لهذا الموقف حتى أنه في ذلك الوقت استيقظ فزعا من رؤياه، وهذا الموقف يدلنا على كامل التوحيد عند الشيخ البغدادي وأتباعه فمع أنهم كانوا داخل الكنيسة التي قامت بتعميدهم رغما، وبوجود أركان النظام والدولة وعلى رأسهم إمبراطور البرازيل، ومع أن هذا الموقف كان سيكلفهم الكثير إذا تم كشفهم إلا أنهم أقروا بالوحدانية لله رب العالمين « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ».

رغبة الشيخ في دعوة الهنود الحمر

من الأمور المهمة التي سجلها الشيخ البغدادي خلال مشاهداته الحديث عن الأمم المتوحشة من بني أمريكا ويقصد بهم سكان البرازيل الأصليين « الهنود الحمر »، فقد علم أنهم يعيشون وسط الغابات المتشابكة ويأكلون لحوم البشر، وأنهم قد بلغوا في علم المداواة بالأعشاب مبلغا فاق أفلاطون وابن سينا.

وقد التقى الشيخ أثناء وجوده في مدينة ريو دي جانيرو بطبيب من أصول إفريقية كان قد عاش فترة من الزمن مع هؤلاء الهنود وتعلم منهم طريقة استخدام الأعشاب وفوائدها المختلفة وكانت فرصة للبغدادي ليطلع على أمور هم ويتعرف على أحوالهم وذلك من خلال حوار دار بينه وبين ذلك الطبيب يقول الشيخ « وقد اجتمعت معه وسألته عمن يسوس أمرهم ويرجع إليه حلهم وعقدهم فقال أشدهم سحرا أنفذهم أمر ا وليس لهم دين يرجعون إليه بالكلية ولاتفاخر بمتاع الدنيا الدنية بل تفاخرهم بجميل نشاب وقوس وحراب بهية ووحوش غريبة وكواسر يقتنونها فتحرسهم وتجلب لهم الخير وتكلم أمامي بلغتهم فإذا هي كصفير الطيور ».

رغم أن الحديث عن تلك الأمم غريب وعجيب وشيق ولكن الذي لفت نظر الشيخ البغدادي بصفته عالما مسلما وداعية إلى الله هو كيفية دعوة « الهنود الحمر » إلى الإسلام، فقد علم من خلال حديثه مع الطبيب

الإفريقي أن الهنود ليس لهم دين يرجعون إليه بالكلية يقول في مخطوطته « وكم خطر لي الذهاب إليهم لألقي دين الإسلام عليهم فيمنعونني[1] المسلمون ويقولون لي إن هذه الأمم لا يقبلون سيما ولا تعرف لسانهم فربما يبطشون فيك فدع ما لا يعنيك لئلا ترى ما لا يرضيك » وهذا دليل على ماكان يتصف به هذا العالم الجليل من حرص على الوصول بدعوة الله تبارك وتعالى إلى كل أرجاء البرازيل حتى تلك الأماكن المجهولة والعجيب في أيامنا أنه مع وجود وسائل الاتصال الحديثة ومعرفة الكثير عن هؤلاء الهنود إلا أنه وعلى حسب علمي لم يتم عرض مباديء وتعاليم الإسلام على هذا الشعب وهذه مسؤولية المسلمين في كل مكان.

بدأت الدعوات تتوالى والوفود تصل للقاء الشيخ البغدادي في مدينة ريو دي جانيرو طالبين زيارة الشيخ لتجمعات المسلمين الأخرى داخل دولة البرازيل والاستفادة من علمه، وهذا يدلنا على وجود تواصل بين الأمة البرازيلية المسلمة في ذلك الوقت وتبادل الأخبار فيما بينهم.

1 هكذا وردت في المخطوطة ولعله يريد فيمنعني المسلمون.

المسلمون في « مدينة باهيا »

تلقى الشيخ البغدادي دعوة لزيارة المسلمين في مدينة باهيا[1] من خلال وفد جاء خصيصا من أجل دعوته للإقامة بين المسلمين هناك بهدف تربيتهم وتعليمهم شعائر الإسلام، وهذا يدل على مدى التنظيم والترابط والتواصل الذي كان يحكم علاقة المسلمين بعضهم ببعض في دولة البرازيل يقول الشيخ « ثم انتقلت من ريو دي جانيرو إلى بلدة أبائية بتشديد الياء المفتوحة على وزن عربية وذلك لأنه أتى رجال منها لطلبي »، هذه البلدة كانت مشهورة بتصدير طير « الببغاء » وقد أهدى المسلمون طائرا للشيخ، وكان الشيخ حريصا على ترديد الأذان داخل البيت مما جعل الببغاء يردده خلفه « وأتوا إلى بطائر منها فعلقته عندي مدة من الزمان وتكرر سماعه الأذان مني فحفظه بالعيان لأنه سريع الفهم والتقليد، ولايجيب عن الماضي بالتأكيد ».

1 باهيا واحدة من الولايات السبع والعشرين الفيدرالية البرازيلية تقع في الشمال الشرقي وتعتبر أهم ولاية في الشمال الشرقي وأهم جهة للسواح، عاصمتها مدينة سالفادور تعتبر ثالث أكبر عاصمة اكتظاظاً بالسكان في البرازيل.

أحوال المسلمين في باهيا

كما هي عادته أعطى الشيخ أهمية لإحصاء أعداد المسلمين في باهيا يقول « في هذه البلدة من المسلمين أكثر من الأولى » وهذا مؤشر يدل على أن تعداد المسلمين قد تجاوز 24.000 ألفا في مدينة باهيا، وماوصلنا إليه نستنتجه من خلال الاستعراض الدقيق للمخطوطة حيث ذكر الشيخ أن عدد المسلمين في مدينة ريو دي جانيرو 5.000 آلاف وأن الذين اعتنقوا الإسلام خلال فترة وجوده هناك بلغوا 19.000 ألف مسلما فيكون مجموع المسلمين 24.000 ألفا، وهذا العدد ليس كبيرا فكل المتابعات التاريخية التي بدأت تتكشف في الآونة الأخيرة تدل على تواجد أمة إسلامية كبيرة وقوية في ذلك الوقت داخل دولة البرازيل، ولكن تكالبت عليها عوامل مختلفة عملت على القضاء عليها وإقصاءها من التاريخ ومن ذاكرة الأحداث داخل دولة البرازيل.

ذكر الشيخ أن رغبة المسلمين في تعلم الإسلام في مدينة باهيا أقل من رغبة المسلمين في مدينة ريو دي جانيرو، وأن أحوالهم تتماثل مع أحوالهم في الجهل في الدين، وينفردون ببعض الأمراض الأخلاقية عن مسلمي ريو دي جانيرو.

من هذه الأمراض طريقتهم في الزواج، حيث كان الرجل إذا أراد الزواج قام باختيار إمرأة للعيش معها فترة من الزمن حتى تنجب منه، فإذا ظهر

منها خلال هذه الفترة أنها تكتم سره وتدبر أمره وتحبه يقوم بالعقد عليها وتكون زوجته، وإن وجدها خلاف ذلك أعادها مع أبنائها إلى أبيها، وقد قام الشيخ بوضع حل لهذه المخالفات الشرعية وقام بحملة توعية لهؤلاء الشباب ودعوتهم للتوبة وكان من يتوب منهم يقوم بتزويجهما بعقد ومهر، وأخبرهم بأن الله قد أباح الطلاق إذا وجدت الحاجة إليه، وقد كانت هذه الطريقة سببا في إصلاح سلوكيات الكثير منهم.

صام الشيخ شهر رمضان مع مسلمي باهيا، وشعر برغبتهم في أداء صلاة التراويح فقام بأدائها مع المسلمين عشر ركعات من باب التسهيل عليهم، وكان هذا هو المنهج الذي اتبعه الشيخ خلال إقامته في البرازيل وهو حمل الناس على المحافظة على إسلامهم بأفضل طريقة وعدم التشديد عليهم في أحكام الشريعة.

ولم يختلف وضع المرأة المسلمة في مدينة باهيا كثيرا عن شكل وهيئة المرأة البرازيلية العادية فهي تمشي متبرجة ولديها خلل في عقيدتها، كانت إحداهن إذا مات زوجها أو أخوها أو أبوها تذهب للكنيسة وتتصدق على الرهبان وتطلب منهم قراءة الإنجيل ووهب ثوابه للميت، ولقد بالغ الشيخ في وعظهن والتلطف معهن حتى انتهين عن هذه العادة السيئة التي تخالف شعائر وتعاليم الإسلام.

أما أبناء المسلمين فكانوا يشبون على عقيدة النصارى مما يجعلهم يعتنقونها، وقد حصر الشيخ البغدادي أسباب اعتناق هؤلاء الأبناء للنصرانية فوجد أن ذلك عائد إلى تأثرهم بما يروه من مظاهر تبهر العيون خلال احتفالات النصارى ومالديهم من كثرة القسس، ومايرافق تلك الحفلات

من موسيقى وحركات وفي المقابل يجد والده وحيدا في مخالفة هذا المد الجارف فيعتقد كذب أبيه فيمشي وراء الأغلبية في طريق الفساد والفجور.

وقد أشار الشيخ على الآباء إقامة دورات تعليمية لأبنائهم داخل البيوت حتى يبلغوا سنا معينة يكون فيها محصنا ضد التأثر بما يراه من مظاهر الشرك يقول الشيخ « فأشرت على بعض المسلمين أهل الغناء بحبس أطفالهم إلى تمام رشدهم وتعليمهم « وقد قام المسلمون بتطبيق هذا المنهج حتى بدأ الصلاح يظهر فيهم.

أقام الشيخ في مدينة باهيا عاما كاملا لاهم له ولاغاية سوى تعليم المسلمين أمور الشريعة الإسلامية « وأقمت بهذه البلدة نحو سنة لاشغل لي غير تعليم المسلمين وتهذيب أخلاقهم على حسب السعة والإمكان ».

المسلمون في مدينة « برنامبوكو »[1]

بناء على رغبة المسلمين في هذه المدينة أيضا وطلبهم لوجود الشيخ بينهم لتعليمهم وتهذيب أخلاقهم، سافر الشيخ لتلك المدينة ووصف المسلمين فيها بأنهم أشد نباهة وفطانة من الذين عاشرهم وعايشهم في مدينتي ريو دي جانيرو وباهيا، وكان يرشدهم لأمور الدين مسلم اسمه يوسف وصفه الشيخ بالنباهة والفطنة والعلم.

والمسلمون في تلك المدينة كانوا يعانون من نفس الأمراض السابقة التي أصابت المسلمين في البرازيل عموما، غير أن الشيخ ذكر أن الدولة كانت لاتضيق على مسلمي برنامبوكو كثيرا، ومرد ذلك أن المسلمين كانوا بارعين في ممارسة الكهانة والتنجيم وضرب الرمل وكان النصارى يعتقدون في توقعاتهم للمستقبل بل ويعطونهم المال الوافر مقابل ذلك.

أقام الشيخ بينهم 6 أشهر ومع قصر هذه المدة إلا أنه ظهر فيهم استجابة كبيرة لتعاليم الإسلام « وفي مدة ستة أشهر ظهر فيهم أهلية أحسن من الذين مافاراقوني في طول مدتي ».

1 ولاية بيرنامبوكو واحدة من الولايات السبع والعشرين البرازيلية تقع في النصف الشرقي من شمال شرق البرازيل عاصمتها مدينية ريسيفي والتي تعتبر أقدم عاصمة في البرازيل حيث أسست المدينة في 1573 ويقطنها 1,5 مليون نسمة، وتأتي بالترتيب الخامس في قائمة الاقتصاد البرازيلي.

العودة للأوطان

بعد هذه الفترة الثرية والحافلة بالمواقف الدعوية المختلفة والدروس والعبر سواء من الشيخ أو المسلمين المقيمين في البرازيل، شعر الشيخ بحنين إلى بلاد الإسلام وسماع صوت الأذان ومقابلة الأصدقاء والخلان فقرر السفر لزيارة أهله مع وعد للمسلمين بالعودة إذا سمحت له الدولة العثمانية يقول « وبما أنه قد تقرر عند ذوي العقول وأرباب الفطن أن من الإيمان حب الوطن، مع ماشاهدته من التأثر على هؤلاء المسلمين وغربة هذا الدين، جذبتني أزمة القضاء والقدر وحركتني دواعي الأرق والسهر واشتاقت نفسي لسماع الأذان ونظر المساجد والخلان فاستأذنت المسلمين ووعدتهم الرجوع إن أرسلتني الدولة العلية العثمانية لتلك الربوع وخرج لوداعي جمع عظيم قدموا من سائر الأقاليم، وماكلفت المسلمين شيئا في هذه المدة سوى ما أكلته وما شربته وقهرا عني دفعوا أجرة الوابور الذي ركبته وتوجهت قاصدا للبلاد الإسلامية ».

وبهذا نكون قد استعرضنا فترة مهمة من تاريخ المسلمين في دولة البرازيل كانت مجهولة للكثيرين ممن درسوا تاريخ البرازيل، سجلها لنا بكل تفاصيلها عالم كبير من علماء المسلمين، وأعتقد أن المسلمين إذا استطاعوا التمسك بشعائر الإسلام خلال الفترة التي تلت زيارة الشيخ البغدادي حتى وصول هجرة المسلمين الحديثة للبرازيل - وهي فترة لاتتجاوز 50 عاما - لكان لهم شأن آخر داخل دولة البرازيل ربما كان سببا في أن يكون هناك عدد كبير

من أتباع الدين الإسلامي، ولكن من الواضح أن المسلمين لم يستطيعوا مقاومة حملات التنصير المستمرة وضغط السلطات الحاكمة ومعاقبتها لأي مظهر إسلامي إضافة إلى إنعدام تواصلهم مع الدول الإسلامية وعدم اهتمام تلك الدول بأمورهم وقلة العلماء، كل هذه العوامل أدت بلا شك إلى ذوبان هؤلاء المسلمين بكل ماحملوه من نور وعلم وحضارة في نسيج المجتمع البرازيلي ونشأة جيل جديد لايعرف شيئا عن الإسلام سوى أن أجداده كانوا مسلمين.

المنهج الدعوي للشيخ البغدادي

مخطوطة « مسلية الغريب » غنية بالدروس الدعوية للدعاة الذين يعملون وسط الأقليات المسلمة في العالم، ونستطيع اعتبارها أنها أول اجتهاد لعالم مسلم في الأمريكتين، حيث تقدم نمطا متميزا من الدعاة الذين يرغبون في الإصلاح والرقي بوضع المسلمين و نستطيع استخلاص بعض الدروس من رحلة الشيخ البغدادي للبرازيل.

أولا : تعليم العقيدة الإسلامية للمسلمين وتوثيق صلتهم بالخالق جل وعلا وتذكيرهم بعظمتة والهدف من خلقهم، هي البداية الناجحة لأي داعية وهذا مابدأ به الشيخ البغدادي دعوته داخل البرازيل.

ثانيا : تركيز الداعية وحرصه على تعليم المسلمين أركان الإسلام وشعائره المختلفة وقد بذل الشيخ جهداً مضنيا حتى حفظ المسلمون أركان الإسلام.

ثالثا : التدرج في عملية التعليم وتصحيح الأخطاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأفضل السبل والوسائل.

رابعا : التدرج في النصح وقبول الآخر كما هو حتى يتم صلاحه، فقد قبل الشيخ في البداية الأخطاء التي كان المسلمون يقومون بها ثم بدأ بإصلاحها واحدة تلو الأخرى بدون تعنيف.

خامسا : حرص الداعية على توفير الكتب والمصاحف لأهميتها في عملية التربية والتعليم وقد استطاع الشيخ أن يعيد للغة العربية أهميتها ومكانتها في نفوس المسلمين ويوفر لهم نسخا كثيرة من القرآن الكريم.

سادسا : سخاء الداعية وإنفاقه من ماله في سبيل الدعوة إلى الله واستغنائه عما في يد الناس له أكبر الأثر في تأثر الناس بالداعية فقد كان الشيخ البغدادي يهدي من ماله للمسلمين الجدد ولم يكلف المسلمين شيئا خلال فترة إقامته.

سابعا : الاهتمام بتربية الصغار وتنشئتهم على الإسلام وخصوصا في بلاد الاغتراب، وقد أعطى الشيخ أولوية خاصة في تكوين مجموعات من أبناء المسلمين لكي يربيهم ويعلمهم، وأصى الآباء بالاهتمام بتربية أبنائهم وتمكين العقيدة الإسلامية في نفوسهم قبل اختلاطهم بالمجتمع حتى لايتاثروا به.

ثامنا : فطنة وذكاء الداعية للمؤامرات التي تستهدف المسلمين حيث كانت هذه الفطنة سببا في اكتشاف حقد المترجم اليهودي الخبيث وإضلاله المتعمد للمسلمين في البرازيل.

تاسعا : يسروا ولاتعسروا مبدأ عظيم من مبادئ الدعوة التزم به الشيخ البغدادي خلال دعوته لمسلمي البرازيل.

وبعد فقد طوينا صفحة مهمة من تاريخ المسلمين في البرازيل، توجب علينا أن نعمل على إبرازها وتشجع البحوث والجهود العلمية المختلفة حولها، لتكون سببا في عودة أحفادهم إلى الإسلام، وهذا ما نلاحظه اليوم حيث

الكثير من البرازيليين الذين يعتنقون الإسلام يكون دافعهم هو دراستهم ومعرفتهم أن أجدادهم المسلمون كانوا ممن أسسوا دولة البرازيل وأنهم حافظوا على إسلامهم رغم كل العقبات التي تعرضوا لها.

إن هذا البحث وغيره من الأبحاث المتصلة به يجب أن تنال اهتمام المؤسسات التي تعني بتاريخ المسلمين والجاليات الإسلامية، وأن ترفع إلى المستويات السياسية في بلاد الإسلام، لمطالبة البلاد التي استعمرت البرازيل بالاعتذار عن هذه الحقبة التاريخية والتي تعاملت فيها مع البشر بشكل همجي، لايمت للإنسانية بصلة، وكذلك يجب أن تعتذر الجهات الدينية التي قامت بعملية إرغام هؤلاء العبيد ليتحولوا عن دينهم، إنها صفحات حزينة لتاريخ المسلمين في البرازيل.

نص المخطوطة

مسلية الغريب

تأليف

الحقير عبد الرحمن البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القادر المالك لجميع الممالك، الموضح المسالك لكل سالك، المدبر جميع الموجودات بعظيم قدرته، والمتقن صنائعها ببديع حكمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الموجودات، وأشرف المخلوقات وعلى آله وأصحابه الغر الأمجاد، الهادين إلى طرق السداد والرشاد، وبعد فيقول الفقير إلى عفو مولاه، عبد الرحمن بن عبد الله، البغدادي الأصل والانشا، والدمشقي وطنا ومنشا، انه كما جرت عادة الدهر ابي العجاب من التنقل والانقلاب تنكر لي بعد المعرفة، وصرفني انصراف الدراهم بأيدي الصيارفة، حتى لفظتني الأوطان وقلتني الخلان، وكنت أشرب كأساً بالصفا مزجت فصرت أشرب كأسا مزجها الكدر، فامتطيت جواد السفر مستسلماً للقضاء والقدر.

و لما نأى خلي وأنكر صحبتي ... وقابلني دهرى بذل المصائب

أخذت عصى التسيار أبغي فراقه ... والقيت حبلي فوق متني وغاربي

ولم أزل مابين رفع وخفض ... ذا نصب تلفظني أرض إلى أرض

يوما بحذوي ويوماً بالعقيق وبال ... عذيب يوما ويوما بالخليصاء

إلى أن كل الطرف من الاين، وذبل طرف العين، من بعد شدايد وأهوال، تشيب لها مفارق الجبال وصلت إلى دار السعادة والاقبال ومدار فلك السعادة والإقبال، ومدار فلك السيادة والإجلال، محروسة القسطنطينية العظمى، ذات الشرف الرفيع والفخر الاسما في أيام السلطان الأعظم، والخاقان الأفخم الناشر ألوية العدل في جميع الأقطار، والمفيض على من في حوزتها من يديه فيض البحار، ظل الله الظليل، وملجأ الملهوف والدخيل، سلطان سلاطين الأمم من دانت لسطوته العرب والعجم، شمس سماء هذا الأوان، وبدر فلك هذا الزمان، ذى العطاء البسيط والمقال الوجيز، السلطان الأعظم المظفرعبد العزيز خلد الله ملكه، وجعل الدنيا بأسرها ملكه، ولازالت حضرته مطمحا للهمم، ومسرحا لآمال الأمم، وأيامه مواسم، وثغورها بالعدل بواسم،

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

وصادفني الحظ الوافر، بلثم أذيال حميد المآثر، من ناداه مولاه لفسيح الجنان فلبى نداه بدون توان، قبودان باشا السابق من قصرت عن نيل معاليه السوابق المرحوم الحاج محمد اتش باشا، بلغه الله النظر لوجهه الكريم كما يشا، ولازالت تمطر ثراه سحائب الغفران، ويهمي عليه صيب الرحمة والرضوان، وقد كان لى على معاليه أسبقية انسحاب ولى تردد على ذلك الباب، فنصبنى إماما لحضرته الشريفة، وإن لم أكن مستحقا لتلك الوظيفة، ثم بعد أفول شمس وجوده، وغياب بدر سعوده، بقيت منظوماً في

سلك النظام، وللعساكر البحرية إمام، وصدرت الأوامر الملوكانية، وسنحت الإرادة الشاهانية، بإرسال وابورين[1] إلى البصرة المحمية، وطريقهما من البحر المحيط، ويجوبا لكل أسكلة وفج عميق، فطلبت المسير بأحدهما قصدا للسياحة والتأمل بكل ساحة، إذ هى تزيد اليقين، ويتأكد بالنظر لعظمة القدير المبين، فحصل مارمته وفى أوايل جمادى الأول السنة الثانية بعد الثمانين والمايتين والألف، من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف، أقلعت البوابير من دار السعادة، وطلبنا من الله تعالى معونته واستمداده، ومازلنا سائرين حتى قذفتنا الرياح بالاضطرار، بغير اختيار، إلى باى تخت[2] دولة برازيليا ذات المناظر الوسيمة، وهي جنوبي أمريقا الجسيمة، وهناك تركت البوابير لأجل تعليم المسلمين، الذين بهذه البلاد مقيمين، محتسباً لوجه رب العالمين، وحيث رأيت في مرآتها جملة من العجائب، وأنواعا من الغرائب، فأحببت ذكرها في هذه الرسالة، وإيضاحها بهذه العجالة، تذكرةً لأولي الأبصار، وموعظة وذكرى لذوي الاستبصار.

هو الدهر والأيام ذكرى لذاكر ... وأبلغها في الوعظ أعجبها أمرا

وجملة ما فـــيها أدلة قادر ... له الفضل والآلاء والمنة الكبرى

وما قدروا باريهم حق قدره ... ومن ذا الذي يدري لصانعه قدرا

وسميتها مسلية الغريب بكل أمرٍ عجيب، والمرجو ممن تأملها غض النظر عن سقم معانيها، وركاكة مبانيها، لأن بضاعتي مزجاة من العلم قليلة، وعين الرضا عن كل عيب كليلة، فأقول والله المأمول.

---

1 سفينتين كبيرتين من سفن البحرية العثمانية.

2 عاصمة البرازيل في ذلك الحين.

سبب معرفتي بالمسلمين و ترك البوابير

في اليوم الذي وصلت به البوابير إلى روى جينيروا[1] أجرت نظامات الدول من إطلاق المدافع النارية، وإظهار الشنان[2] للعساكر الشاهانية، وفي اليوم الثاني خرجت ضباط العساكر الإسلامية، للتفرج على هذه البلدة البنية، وكذلك هذا الداعي فلما وافيت الأسكلة[3]، وشاهدت الصور والأمثلة، فإذا برجل من السودان قدم عليَّ، وأشار بقوله السلام عليكم إليَّ، وخصني بها من دون القوم بالتعظيم، لأن لباسي مشتملاً على العمامة والهيئة الرسمية، وفيه إظهار الإشارة العلمية، وبما أن لباسه الطوائف الإفرنجية، ما رددت عليه هذه التحية، وظننت أنه تعلمها للاستهزاء، وخاطبته في العربي والتركي فما فهم ولا بالإيماء، بل تكلم بلغة البرتكيزية[4]، فسرت وماألقيت له بالي لما غلب على ظني أنه مستهزئ بالكلية، فتفرجنا في ذلك اليوم على بعض ماسأذكره وإليه أشير، ورجعنا عند المساء إلى البوابير، وكل منا بالسلامة قرير، لأننا لاقينا في الطريق نوعاً من الشدة والضيق، وبعدها وردت متفرجوا الإفرنج من كل فج عميق، وأذن القماندار[5] لهم بالتفرج وأعد ذلك من مكارم دولتنا العلية، وقصداً لإشهار فضلها ولو كانت عن ذلك غنية، فدخل

1 ريو دي جنيرو وهي العاصمة السابقة للبرازيل

2 العداء

3 رصيف الميناء

4 اللغة البرتغالية لأن البرازيل تم اكتشافها عن طريق البرتغاليون وهي الدولة الوحيدة في أمريكا اللاتينية الناطقة بهذه اللغة.

5 القائد

أمم لا تحصى ومن جملتها بعض السودان وحين دخولهم كل منهم يبادر بالسلام ويقول (إيو مسلم) فما فهم أحد من ضباط العساكر ما قاله لأنه ليس فيهم من يتكلم بالبرتكيز، بل يعرفوا لغتي الفرنسيس والإنكليز فخاطبوهم بهما فما فهموا ماخوطبوا، ومكثوا قليلاً وذهبوا وبعد أن قل المتفرجون بمدة قليلة، جاء من هذه السودان شرذمة جليلة وتكلموا مثل الكلام الأول وقعدوا عندنا إلى وقت الظهيرة، وقمنا إلى أداء ما فرض الله تعالى علينا فقاموا جميعاً معنا وتوضئوا وصلوا مثلنا فتحققنا أنهم مسلمون، ولواجب الوجود يوحدون، فأخذنا بذلك العجب، وتمايلنا من الطرب، وأظهرنا لهم الإكرام، وحسن الالتفات التام، وعند المساء أشاروا بطلب الإذن كالبكم، مع إظهار كمية التشكر منهم وبعده جاء منهم جمع غفير وصحبتهم ترجمان يعرف العربية والبورتكيزية فحصل عند هذا الداعي الفرح لكوني تعلقت أفكاري في فهم حقائقهم، وما طوي بسرائرهم، فقصدوا فناء قمرتي متأدبين، وعن رؤوسهم حاسرين، فقلت للترجمان المذكور مرهم بتغطية رؤوسهم فإن ذلك في ديننا غير مشكور وذلك بعدما أظهرت لهم البشاشة والقيام وتأدية ماوجب من الاحترام

عن وصول السودان بلاد أمريقا

ثم سألت الترجمان عن أحوالهم أخبرعن كثير من الأمور نهايتها أن هؤلاء السودان من جانب أفريقية التابعة لبلاد السودان، ومن ستين سنة تسلطت على أطراف بلادهم مراكب الإفرنج واشتروا منهم أمماً لا تعد من ملوكهم لأن ملوكهم دائما مشتغلون بالحروب، وهم من بعضهم ما بين ناهب ومنهوب، فكثرت هذه الطوايف في بلاد الأمريقانيين، إلى أن بلغت ما فوق الخمسين من الملايين، وبسببهم وقعت الحرب فيما بين دولتي أمريكا الجنوبي والشمالي، ووقع الصلح على جملة أمور عوالي، منها أن هذه السودان لاتباع، ويملكون الحريم بالاتباع، والآن غالب هذه السودان أحرار، والباقي منهم تحت الرق والانكسار، لهم مدة معينة بعد انقضائها على التحقيق، لا يبق في البلاد برازيليا أصلاً رقيق، وهذا في برازيليا فقط والظاهر أنه في البلاد المتحدة من أمريقا[1] جميعهم صاروا أحرار ومن قبل عشرين سنة كان فيهم وجود الأحرار، لأن البعض قد اشتروا أنفسهم، وخلصوا من قيد الرق مهجهم، وغب ذلك كل من مالكين الحرية عن يقين، تذكر ما كان يعهده آبائه من الدين، فرجع بعد خلاصه إليه، وكل من له دين عول عليه، والمسلمون منهم طائفة قليلة، غير أن قلوبهم بالجهالة عليلة، لأنهم خرجوا من بلادهم صغار، مافيهم من تعلم دين النبي المختار، ولما شاهدوكم زاد بهم الفرح، وزال عنهم الترح، ومرادهم أن تذهب معهم إلى دورهم، وتنظر في أمورهم، كي يتعلموا منك اللازم من الدين، وتطمئن قلوبهم عن يقين، وسألته عن عدة المسلمين فقال نحو خمسة آلاف بالتخمين.

1 الولايات المتحدة الآمريكية

طلب الإذن من القماندار لدعوتهم

فقمت إلى جناب القماندار، وشرحت له هذه الأخبار، فقال اذهب معهم واطلب صالح دعاهم، فإنه لو لم يكن الإسلام ثابتاً في صدورهم، ما طلبوا منك النظر في أمورهم، فتوجهت معهم إلى منازلهم وصحبتي ذلك الترجمان الذي يخفي الكفر ويظهر الإيمان، لأنه يهودي الأصل كما سأذكر خباثته بعد هذا الفصل، فلما قر بي القرار، رأيت من جهلهم ما يبهر الأفكار، لأني صليت بهم المغرب إماما فعندما سلمت من الفريضة وقمت لأداء السنة، كذلك رأيتهم بها مقتدون وعلي فعلي معولون.

كيفية صلاتهم

فرأيت أن يصلوا فرادى كي أنظر إلى حقيقة هذا الأمر فرأيت الرجل منهم بعد أن ينوي تكبيرة الافتتاح قائماً، يميل مرة لليمين ومرة للشمال ويسجد للأرض لاثماً، بلا ركوع ولا قراءة ويكرر ذلك ما شاء بدون الجلوس الأخير، فارشاً للرمل الأبيض عوض الحصير، ويخرج منها بدون سلام، ويقول ما يريد فيها من الكلام، متوشحاً بوشاح أبيض وبعضهم أزرق، وإذا ضايقه البلغم أعد كاسة بها بصق، فتفرست أن هذه الفعال، من فعل هذا الترجمان المغتال، لأني رأيت القوم يعظموه ويشيرون له بالسؤال، فسألته عن دينه فقال مسلم، إلا أني خرجت من بلادي غير متعلم ولكنني على حسب الإمكان أدرى من هؤلاء القوم بمعرفة الدين، لكن يا سيدي نحن في بلاد الأجانب ما نقدر على أداء الفرايض كما يجب مع إن هذه البلاد شديدة الحرارة وفي رمضان الماضي أفطرت نحو خمسة عشر يوماً من شدتها، وما قاسيت من حرارتها، وأظن ماعلي بذلك لوم، ولا يجب علي إعادة الصوم، فتعجبت من خلط جوابه، ونفر طبعي منه لتزويق إرابه[1]، فما عبت شيئاً مما أبداه ولا مما أظهروه، وخوفاً على كسر خواطرهم ونفار قلوبهم استحسنت ماعملوه، وقلت للترجمان أفهمهم أن يقتدوا بأفعالي، وينظروا حركاتي ويفهموا مقالي، ثم ضربت أخماساً بأسداس، وجمعت فكري والحواس، إني إذا التفت إلى تعليم القوم، كيفية الوضوء والصلاة

1 تزيين عيوبه.

والصوم، فاتني تعليمهم الفرض الأعظم الذي هو على كل فرض مقدم، وهو معرفة واجب الوجود والقدم، وكذلك إن أظهرت للترجمان ما تحققته من الزور والبهتان، عدمته لأني محتاج إليه في مادة اللسان، كيف وقد فهمت أنه ليس في هذه البلاد غيره، يرتجي في الترجمة خيره، فكتمت سري وطلبت المعونة ممن يعلم أمري، وبدأت أولاً في التكلم على معرفة الباري المتعال، المنزه عن النظير والمثال، وبدء يترجم ما أقول، إلى أن آلت شمس النهار للأفول، وكنا في دار عظيمة البنا، وسيعة الفنا بعيدة عن السكان قريبة من القيعان أعدوها لأهل هذه القضية بأجرة وفية فمازلت على هذا المنوال أعقب النهار بالليل وأكرر مجالس الوعظ والمقال مزينة بذكر صفات الملك المتعال ونبيه الكريم المفضال صلى وسلم عليه ذو الجلال، ثلاثة عشر يوماً فما رأيت لكلامي فائدة ولا مزية زائدة وذلك في القرينة فهمته وبالفراسة علمته فخطر لي أن هذا الوجهين إما أن يكون هذا الترجمان اللعين لا يحسن التكلم في لغة البرتكيزية، ولا يقدر على ترجمة مثل هذه القضية، وإما أن يكون فهم المقصود ويقدر على أدائه، وخباثةً منه أبدل الكلام بسوائه، وكان الأمر كذلك حسبما تحققته عندما فهمت لسان القوم وسلكت هذه المسالك، ولكن لعلمي أن هذه المدة قصيرة، ولست من أمري على بصيرة، قلت ما بيدي حيلة أكثر مما أظهرته، ولا أقدر على زيادةً مما أبديته، ولا أعلم لسان القوم، فاستأذنتهم بعد هذا اليوم، ورجعت إلى البابور.

شدة خوف القماندار من أجلي

وواجهت القماندار على الفور، فرأيته مشتاقاً لرؤياي كثير منزعج الحواس بادي التفكير، فلما رآني أخذ يزيد علي باللوم، وقال ينبغي ألا تذهب بعد هذا اليوم لعند هؤلاء القوم، وسأبدي لك ماالسبب يا أخا العرب، إعلم بأن ماعليه المعول، بين الدول، أن كل دولة تجري دينها في بلادها، بين أقطارها ووهادها، وبعد ماأذنت لك بالذهاب معهم وقعة علي الندم، وخفت أن تفطن بك الحكومة فتزل بي القدم، وتقول إن مراكب الدولة العثمانية جاؤوا لبلادنا، يفسدوا ما عهدناه من دين آبائنا وأجدادنا، وها قد أرسلوا البابا[1] يعلم الناس دينهم والطراز، ولربما يقع أكبر فتنة بسبب ذلك وأكون بها أمسيت في ليل حالك لأني أنا المسئول عن ذلك، ثم قال وهذه المسلمون الموجودون بهذه الديار كاتمون لدين الإسلام بغير اختيار، ولهم خوف شديد من الاشتهار من طوائف الإفرنج لأنهم يعلمونهم نصارى، حسبما أخبرني بعض الانكليز جهاراً فقلت إن ما ذكرت قرين الأصول، فاسمع ماأقول، إن هذه الأهالي غلبت عليهم الجهالة، وهم منها في أسوأ حالة، وشرحت له بعض ما شاهدته من صلاتهم وما هم فيه، فقال قد أوقعت في قلبي أمراً لا أقدر أبديه، إن قلت لك اذهب إلى عند هؤلاء القوم، وفطن بك رؤساء الفرقة الخرستيانية [2] فلا أخلص من اللوم، من الدولة العثمانية، فقلت وإن قلت لا تذهب، احذر من بطش الإله العلي

1 مبشر و معلم.

2 النصارى.

وأرهب، فانك لا تقدر على الجواب إليه، إذا وقفت بين يديه، لأنه من صدر الإسلام إلى هذه الأيام ما صادف دخول المسلمين إلى هذه البلاد، ولاوطئوا هذه المهاد، ونحن أول من دخل، وعلينا في إصلاح هذه الطائفة المعول، فقال اصبر قليل، أيها النبيل لنتذكر في هذه القضية، وننظر ما يمضيه رب البرية، ومضى في ذلك ثلاثة أيام وهذا الداعي والقماندار كل يوم و ليلة في تذكار، نهدم و نعمر وفي الآراء نفكر، وطال على القوم الانتظار، لأني وعدتهم الرجوع فقل منهم الاصطبار.

طلب المسلمين من يعلمهم دين الإسلام

وجاء منهم إلى البابور جملة، وصحبتهم ترجمان آخر يعرف لسانهم ومن لغة الإنكليز جملة، ودخلوا على القماندار وهو يعرف لغة الانكليز وتمثلوا بين يديه قائلين على لسان الترجمان إليه، أيها المولى الهمام نحن ما نريد منكم حطام، ولا نبغي حماية، ولا عن أنفسنا وقاية، فقط نريد منكم التعليم في هذا الدين المستقيم، لأننا كنا نظن أنه ليس في الدنيا سوانا مسلمين، وأننا على الطريق المبين، وأن جميع البيضان، هو طوائف الخرستيان، إلى أن من الله تعالى ورأيناكم فعلمنا أن ملك الباري واسع، والدنيا ليست بلاقع[1]، بل معمورة بالمسلمين، فلا تبخلوا علينا بتعليم هذا الدين، وإن قلتم لنا هاجروا إلى بلاد الإسلام، وتعلموا الصلاة والصيام، نقول إن علينا من الشروط، من كل أمر منوط، أن من هاجر منا بنفسه يخرج من حطام الدنيا وما خوله لنفسه، ويتركه للدولة خالصاً، ولا يكون في إعطائه حائصاً، وهذا مما يصعب على النفوس، حيث هذه البلاد صارت لنا وطناً مأنوس، فاعمل معنا هذا المعروف، وأنقذنا من هذا الأمر المخوف، واسمح لنا بالباباز، بوجه الإنجاز، ودعوا له بصالح الدواعي، فأرسل إلى هذا الداعي، وقد كان أخذه من الهجوع دواعي.

1 خالية من المسلمين.

حصول الإذن من جانب القماندار بالإقامة عندهم

فأتيته ورأيت القوم عنده فاستخبرته فترجم لي ما أقوله وسطر، وقال أنت بنفسك أدرى وأخبر، وأنا لا أمنعك عما تريد فاصنع ما أنت صانع فإن هذا الأمر بك أكيد، فقلت أذهب معهم وأبذل نفسي ولو لاقيت رمسي، وأطلب بذلك رضاء الله وأسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأشّرت لهم فجاءوا محلي وأعطيتهم الكتب التي كانت عندي، متوكلاً على المعيد المبدي، فأخذ كل منهم ما قدرعلى حمله وما أريد لنقله، وفي هذه الليلة سهرت مع جناب القماندار وليس معنا ثالث، سوى المنزّه عن أن يشبّه بحادث، واتفقنا على الكتمان والقناعة، وأن لا أحمل القوم مالايطيقون دفاعه، وكانت تلك ليلة الوداع معه إلى أن ذهب الظلام، وبدأ الصبح بالابتسام، فصلينا الفريضة وركبت الفلوكة [1] بعدما أخذت ماتبقى عندي ولما صرت عند القوم تبادروا إليّ فرحين وأشاروا إليّ مادحين، وحالا أركبوني بالوابور الحديد، وأرسلوني إلى محل عن البلدة نحو بريد [2]، وأتوا لي بذلك اليهودي الأول لأجل المؤانسة فصار لي مجالساً، وبدأت أكتب منه ما تيسر من هذه اللغة وأحفظه وكذلك من غيره ولكون ما عندي من أتكلم معه بلساني ضرورة تحرك في هذه اللغة جناني، فما مضت إلا أيام

---

1 زورق صغير.

2 البريد لغة هي كلمة فارسية يراد بها في الأصل البغل وأصلها بريد دم أي محذوف الذنب، لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، ثم سمى الرسول الذي يركبه بريدا، والمسافة بين السكنين بريدا، واتفق العلماء أن مقدار البريد أربعة فراسخ، وعليه فيكون قدر البريد عند الحنفية والمالكية 22260، وهو المتحقق لأن البغدادي كان حنفيا.

قلائل حتى عرفت أدواتها وما تيسر من تركيباتها، وفي أثناء ذلك سافرت البوابير، وتحققت أن القماندار، خوفاً من سوء تقلب الليل والنهار، أعلن إلى طرف الحكومة أن البابا ز بقي في هذه البلدان، متفرجاً في منتزهاتها، طايفاً في فلواتها، وأنا في الذهاب من أمري على عجل، فكيف العمل، فأجابته الحكومة لاتكن من ذلك في وجل، متى وجدناه مكرّماً أرسلناه.

كيفية تعليم المسلمين وبعض ماهم فيه

ثم ابتدرت إلى التعليم بعدما رجعت إلى الدار الأولى، التي أعدت لي أولاً، وقد حصل للقوم غاية الفرح، عندما رأوني أتكلم بلغتهم وزال عنهم الترح، فقسمت النهار أقسام، حين رأيت محلي لا يخلو من خمسماية من الأنام، ورأيت هذه الأقوام لا يعرفون من القرآن إلا إلى عمّ، وهؤلاء أكابرهم والأصاغر منه نوعاً ما، والذي يقرأ منه إلى عمّ المشرفة، يعبرون عنه بلفظ فا، ومعناها عالم جليل، عارف بمحكم التنزيل، وكان بهذه البلاد موجود مكرمين، وعندي مثلهما مرتين ولسانهم ثقيل جداً، وليس لمخارج الأحرف بها مستعدا، لأنهم ألفوا أحرف الأفرنج وكتبهم، وتربوا صغارا في مكاتبهم، وأحرف الإفرنج معدوم فيها ث ح خ ذ ص ض ظ ع غ ه ويعسر على الإسلام[1] النطق فيها، فلاقيت من ذلك جهداً ويتغالون بأثمان الكلام القديم، ويضعوه في الصناديق بركةً لا للتعليم، فاخترت منهم الأولاد والراغبين من الرجال فلاطفتهم في الأقوال والأعمال، وأيقظت الهمة والبال، على أن بدأ بحول الله تعالى صلاحهم، وتم بمخارج الأحرف نجاحهم، وفي كل يوم بعد الزوال، يحضر غالبهم لمجلس عام، لأجل تعليم قواعد الإسلام، وحديث بني الإسلام على خمس حفظوه الكبار والصغار وجمعتُ رسالة خطها عربي وكلامها في لغة البرتكيز ذكرتُ بها ما قدرت على ترجمته من صفات الله تعالى السنية وصفات أنبيائه الكرام

---

1 يقصد بالإسلام المسلمون

عليهم الصلاة والسلام وفرائض الوضوء والصلاة والصوم والحج والزكاة، عداً مع بعض سنن وكلماتٍ نافعات، ومواعظ مستحسنات، وأغلب القوم حفظوا تلك الرسالة، واستوعبوا هذه المقالة، فظهر عليهم تغيير الحالة، وصاروا يتوضئون، وللخمس يصلون وبالصلاة يقرون، وجعلت اعتمادي على خطابهم في الأسهل، ومتى وافق الحكم لأي مذهب من الأربع وكان خفيفاً، أظهرته لهم ولاأروم لذلك تعنيفاً من كتابي كشف الغمة والميزان للإمام الشعراني قطب الأوان، خوفا على قلوبهم من النفار، أو أن يستثقل أحدهم من دين النبي المختار، صلى عليه مدبر الليل والنهار.

في عدد من دخل في الإسلام مجدداً وكيفية دخولهم وأحوالهم

وفي بعض يوم جاءني رجل من أكابرهم ومعه آخر وبدأ في السلام حسبما تعلموا من هذا الذليل كيفيته لأن كيفية سلامهم أن الرجل منهم حين دخوله يركع، كاشفا عن رأسه ويلقي نفسه على البلقع، ويضع رأسه ووجهه على الغبراء، ولا يرفع حتى يؤذن له وهو مخصوص في مجالس العلماء، وبفضله تعالى تخلصت هذه القضية من الرجال وبقيت في النساء، فرددت عليهما السلام، وقمت لهما وأجلستهما بإكرام، فقال أن هذا الرجل مراده أن يدخل في دين الإسلام، ويكون من أمة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وكان أولا مامعه مال والآن تيسر، وهو مقدار من الذهب الأحمر، فالتفت إليه بكليتي وقلت له مالزوم المال، في مثل هذا السؤال، فقال أيها (الفا) إعلم أن الذي صار ألفاً[1] أن الذي مراده الدخول في هذا الدين، يأخذ عن أحد المرشدين، لأنه هو الطريق، المنجي من كل ضيق، وبدفع المال يظهر صدق الداخل، وتزول عنه الشواغل، ويأخذ ورقه من الذي أخذ عنه، حتى إن كلا منا يكرمه ولا يهنه، والذي كان لك عنا ترجمان إذا نقص من العشرين ليرة واحدة، لا يملي على القاصد إليه دين الإسلام ويرجع بلا فائدة، وكان يقول هذا الذي قاله النبي الرسول فحين سماعي زادت لوعتي، وتصاعدت زفرتي، وهطلت عبرتي، وحالاً لقنت هذا الرجل الذي مراده الدخول في الإسلام كلمتي الشهادة وأخرج المال فرددته عليه،

1 المألوف

وأخرجت له مقداراً من الدراهم أهديتها مني إليه، وطلبت جمعية جميع المسلمين، فبعد زمن قليل كلٌ أخذ عندي مكانه بالتمكين، فحمدت مولى الإسعاف، وصليت على سيد الأشراف، وقلت أيها الإخوان، إعلموا أن السعيد من وفقه الله لدين الإسلام، والشقي من طرد عنه فليستعد للانتقام، ومن هدى اللهُ به أحداً إلى هذا الدين خير له من حمر الأنعام، وأخذ الجائزة من الداخلين في عقد هذا الدين محرم باليقين، ومتى الرجل قال كلمة الشهادة، كتب من أهل السعادة، له مالكم وعليه ما عليكم، وينبغي أن تتلقوه بالإكرام، ولا يخطر بأذهانكم أنه لا يظهر صدق الداخل في الإسلام إلا بدفع المال، فهذا خلاف الحال، فإن الإسلام له الظاهر، والله تعالى يتولى السرائر، والمقصود بذل المجهود بتكثير هذه الفرقة الإسلامية، وإخلاص النية والطوية، ومازلت أقرع أذهانهم بالمواعظ بألطف عبارة، وأكررها بأحسن إشارة، إلى أن جرت من عيونهم الدموع، وقالوا أيها (الفا) الذي كلامه مسموع، إنه لو علمنا أن الأمر كما ذكرت، وسرنا على النحو الذي به سرت، لكنا بهذه البلاد ألوف، وفى كل يوم نتوف، لأن خلقاً كثيراً مرادهم الدخول في ديننا و يمنعهم دفع المال، فقلت بادروا يرحمكم الله إلى إصلاح هذا الحال، وإعلان ذلك المقال، وانفض المجلس في ذلك اليوم، ووردت بعدها إلي أقوام، راغبين في دين الإسلام، فاعتنيت بإكرامهم، والتفت إلى تهذيبهم وتعليمهم، وكان عدة من أسلم في هذه البلاد تسعة عشر ألفاً من العباد.

بيان ما يعتقدوه من الأديان

هذه الأمم في الأصل ملل مختلفة منهم من يعبد البحر ومنهم من يعبد الريح، ومنهم من يعبد الشيطان القبيح، ومنهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد القمر ومنهم من يعبد الرعد والنجوم السيارات، وغير ذلك من الزور والبهتان والعقائد الباطلات وعندما ينظرون إلى الطائفة الإسلامية منهم، وأنهم شديدون المحبة لبعضهم تأخذهم غيرة جنسية، ويدخلون في دين الإسلام بأنفس شهية، والله الموفق لمن شاء، وإذا حلت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاء، وبعضهم رأيت عليه آثار ذلك لأن الرجل منهم حين صلاته يغلق الباب، ويتوارى عن الخلان والأصحاب، ويصلي منفردا خوفا من أن تشتهر عليه الخرستيان وفى النهار حين الظهر والعصر يأتي مخصوصاً على بيته لأجل قضاء ما فرضه الله عليه، والبعض يقضيهما بعد العشية عند فراغه من شغل الدنيا الدنية.

جلب المصاحف المكرمة

صادف أني نزلت يوماً للأسواق، للفرجة على بديع ما أوجده الخلاق فمررت على دكانة رجل يبيع الكتب الخرستيانية فدخلت لعلي أرى كتاباً في ترجمة العربية والبرتكيزية، فوجدت مصحفاً طبع في فرنسه في المطبعة الحرفية، خالصاً من التحريف والخطأ مزخرفاً منوطاً فسألته عن وصوله اليه فقال أنا من لوازم صنعتي جلب الكتب من أغلب البلاد، لأزين دكانتي بين العباد وهذا الكتاب العربي من بلاد فرانسه وله عندي زمان، ولارغب به أحد من هذه البلدان، فقلت له كم تريد في ثمنه فقال ليرة فرنساوي فقلت أتقدر على جلب غيره قال نعم فدفعت له عربون وبعد ماجاءت المصاحف واشتروها المسلمون بهذه الفيئة وأخذت عربوني الذي دفعته للكبتي وكثرت المصاحف بين أيدي القوم، وبطل العتب واللوم.

أحوالهم في الصيام و بعض أحوال نسائهم

وجاء رمضان شهر البركة والامتنان، وقد رددته لوقته لأنه كان يصادف معهم صيام شهر شعبان، فأعلنت بهذا الخصوص لسائر البلدان، ورأيت من أحوالهم في الصيام أن الرجل لا يبلع ريقه، ولو شاهد زهيقه، حتى في الصلاة يبصق في كاسة أعدها ولا ينظر في المرآة، ولا يضاجع نسائه به ولايكلمهن إلا بعد الزوال، ويأكلون قبل الشمس، ويفطرون عند العشاء بالنفس، وفي آخره ينوون ثلاثة أيام طي، لا يأكلون فيها شيء سوى بعض أقداح العقار، يشربونها عند الإمساك والإفطار، ونساؤهم ليس لهن إرب في الصيام، ويفعلن مايشأن طبق نساء الإفرنج النيام، من ظهورهن في الأسواق غير مستترات، وتعاطي بعض المنكرات، وترث المرأة من زوجها النصف إذا مات، والنصف الثاني سوية بين الذكور والبنات، وغير ممكن إزالة هذا العارض، وقد أعلنت وبينت للإسلام طرايق من علم الفرائض، وما بينه الله في كتابه المجيد، وقلت من رضي بهذا التحديد، فنعم ومن لم يرض شأنه ما يريد من اقتدائه بالديانة الإفرنجية ولا تشاحنوا ودعوا أحوالكم خفية، وذلك حين ما رأيت عدم قبول النساء تلك القسمة الإسلامية، ونفور طباعهن منها بالكلية.

إقرار الترجمان بأنه يهودي

إن هذا الترجمان الخبيث يسمي نفسه أحمد، وهو الذي لعقائد المسلمين بدل، ولحسن جمع شملها فرق وبدد، لأنه كان عندهم الأول، وعليه في أمور الفتاوى المعول، وهو مغربي الأصل من طنجة مجاور للمسلمين، عارف ببعض كلمات من القرآن المبين، ولما جاء لهذه البلاد الغاربة، كان في ابتداء دخوله لابساً لباس المغاربة، فرأوه أسمراً فتلافوه واعتقدوه، وهو يعرف لسانهم فبجلوه واحترموه، فصار يعلمهم دين اليهودية بالتدريج، ويسلك بهم طريق الفساد الفجيج، وماعلمهم شيئاً خالياً من القبح، غير الختان والذبح، لأنه يأكل معهم ويأبى طعام الخرستيان، وكان لي مارايته زمان، فسالت أحد القوم عنه فحضر فقلت له أما أنت يهودي قال نعم، غير أني لا أخاف منك ولا من هؤلاء القوم نزول النقم، فقلت لم فعلت هذه الفعال، أيها الخبيث المحتال، فقال قصداً لإيذاء المسلمين، وتماماً لحصول نفعي المبين، لأني بسبب هذه الحيل، نلت من الدنيا أكبر أمل، فشاورني القوم في شأنه، فقلت دعوه لمن يعلم بشأنه، لأنكم مستترون، ومن الاشتهار تخافون، وذهب لافزعاً ولاخائفاً، لعنة الله عليه أنَّى كان واقفاً.

أحوال رؤسائهم

وكل عشيرة من المسلمين لها رئيس يتعاطى أحوالها و يعبرون عنه بالفا، وبعضهم بالإمام، وقد شغلهم حب الرئاسة والدنيا، ويقع بينهم أمور لو ذكرتها لطال الأمر وفي الباطن ليس محبون لبعضهم، وكل منهم يود لو أن الحزب الآخر يكون من حزبهم، وكثير مااجتهدت بتأليف قلوبهم، وتكمين عيوبهم، ولهم التفات تام لفنّي علم الرمل والسيميا [1] ويحفظون بعض كلمات سريانية، وشقشقات لسانية، وكل رئيس بها جذب قلوب عشيرته، وكانت ذخيرته في شدته، ولعمري إنها علوم ليس لها نفع أصلاً وكم أخبرتهم بذلك وعرفتهم عن حرمة تعاطي تلك الأوافك، وبالغت في النهي عن ذلك، فأظهروا تركها والظاهر لأجل إرضائي فقط، وغير ممكن إزالت هذا النمط.

1 السحر

ترك المسلمين شرب المدام وغيره

وكافة المسلمين يحلقون الشوارب ويعفون اللحا، ومن عكس كان كمن كفر عندهم مصرحا، فلا يسلمون عليه، ولا يزوجوا بناتهم إليه، ويعتقدون تحريم الدخان، وكل من يشرب المدام، ويضعونها على سفرهم بغير اكتتام، ودعاني بعض أكابرهم ووضع على السفرة مع الطعام، قناني الخمر وأواني المدام، فعرفتهم بتحريم ذلك الأمر، فقالوا إن اليهودي هو الذي أباح لنا الخمر، وبفضله تعالى قد زالت هذه المحنة من المسلمين وبعضهم استعمل عن شراب المدام الدخان وبعضهم تركه رأساً واحداً وسألوا عن بيع الموجود عندهم فأعلمتهم أن الذي حرم شربه حرم بيعه فسفح في تلك الليلة جملة أوعية وفية، والبعض منهم ما تركه بالكلية فأسال الله أن يتفضل عليّ و عليهم بتوبة سنية، وعلى جميع المسلمين إنه جواد كريم.

شذرة في غرائب أحوالهم

وجميع المسلمين بهذه الديار يغطسون أولادهم بماء جرن المعمودية، وهو ماء لا يتغير ولايطرأ عليه الفساد بالكلية، وقد أخبر عن حقيقته بعض العلماء الإسلامية أن رؤساؤهم يضعون في ذلك الماء بعض أجزاء تحفظه عن التغيير، ويضلون به من الأمم كثير، في كتاب سماه الرد الصريح على أهل دين المسيح سئل النصارى به ألف سؤال، وكشف عن ماهم فيه من الأحوال، فمن أراد ذلك فليراجعه هنالك، وسبب دخول المسلمين بهذا الشرك، أنه حين التغطيس تؤخذ ورقة من البترك [1]، وهي فلان ابن فلان قد غطس وحضر تغطيسه فلان أحد الأكابر، فيكون كأبيه الشجي ذلك الحاضر، ويسأل عن الورقة بعد مده فإذا ما وجدت ووجد قيدها بالدفاتر، يؤخذ ذلك الغلام للميري [2] رأسا كالرقيق، ولا ينجو في كل عمره من الضيق، ولابد لكل ميت من المسلمين أن يأتوا له بأحد مأموري البترك خانة [3] وبعض الحكماء، ويعطونه ورقة ليد أهله بلا خفاء، حتى أن بوابين المقبرة يدفنوه، وإذا لم توجد الورقة معهم لم يقبلوه، فاشرت عليهم أن بعد مجيء المأمور يشلحوه ويغسلوه، ويصلوا عليه وللمقابر يحملوه، وما أمكن أن نظهر للدفن حيلة، فإن خدام المقابر يضعوه كما يعرفون ولا يراعوا بذلك القبلة، وغسلت في هاتيك المحلات بعض أفراد من الرجال، قصدا لتعليم

---

1 بطريق النصارى.

2 للسلطة الحكومية.

3 الإدارة الدينية.

المسلمين كيفية الحال، وكنت أشتهي أن ألبس لباسي المألوف إذا خرجت للتفرج على البلدة، فيمنعوني المسلمون من ذلك ويقدمون لي أعذاراً عدة منها أنك إذا لبست لباسك لا نقدر على المجيء لعندك وذهب نفعك لأنه متى عرفك الخرستيان أنك مسلم ظنوا بنا مثلك.

سبب تستر الإسلام[1] من الخرستيان

وكم مرة سألتهم عن سبب هذا التستر الشديد مع إن الدول أطلقت من الحرية لكل شخص مايريد، فأخبروني بأن حرباً وقع بينهم و بين الخرستيان وعول السودان أن يملكوا منهم البلدان، وكانت النصرة للنصارى وقد تحقق عندهم جهارا، أن أصل هذه الفتنة من جماعة مسلمين بين طوايف السودان، وهم الذين قرروا على بعضهم البعض ذلك الشان، لأنهم أديان مختلفة كما اشرنا لذلك، وأنكر المسلمون لهذا الدين خوفاً من المهالك، حتى إلى الآن إذا اشتهر النصارى على أحد من الإسلام ربما قتلوه، أو نفوه أو مؤبداً حبسوه، وكلما رأيت الإسلام فيما ذكرتُه من التغطيس والدفن والاكتتام تهطل من عيوني الدموع الجسام، وأتأسف على بلاد الإسلام، وأتذكر وطني و بعد المسافة، ولاأجد لي حراً أرتجي إسعافه سيما في بلدة عدم بها النصير وجار بها الحقير، ودقت النواقيس، وكثرت وساوس إبليس

1 المسلمون.

بيت

أبيت كأني ثاورتني ضئيلة ...من الرقش في أنيابها السم ناقع

وكنت أمني نفسي بعل وعسى وبذكر من مضى أتأسا وأتسلى بقول القائل!

لاتخش من هم كغيمٍ عارض ... فلسوف يسفر عن إضائة بدره

إن تمسِ عن عباس حالك راوياً ...فكأنني بك راوياً عن بشره

ولقد تمر الحادثات على الفتى ...وتزول حتى لا تمر بفكره

ولرب ليل بالهموم كدمل ... صابرته حتى ظفرت بفجره

إقليم دولة برازيليا

هو قطعة من جانب أمريقا الجنوبي، استولى عليه أولاد دولة البرتكيز، وبذلوا جهدهم في عمارته، وتحسين بنائه وهندسته وبعد ذلك ولّوا عليه ولدا من أولاد ملوكهم فاستملكه وخالف لأبيه واستقل به وعقد عليه جمهورية الدول وسمي برازيليا وهو اسم ذلك الغلام المالك الأول، وأظن سبب تسميته برازيل هو اسم شجر يخرج منه أحمر اسمه برازوه في الافرنجية يصبغ به الصوف والله أعلم، وأول ما وجد ذلك الإقليم وعرف سنة 1500 مسيحية و يحكى أنه قبل ذلك تعرفه أهل الجين والله تعالى أعلم واستقلاله دولة في أواخر 1800 مسيحية، ومساحته تقريباً 2.700.000 ميل مربع وعدد أهله 8.500.000 ويخرقه من الغرب إلى الشهر نهر (أمازون) وهو أعظم أنهار الدنيا ومخرجه من جبال (آندس) ومصبه في الأوقيانوس المسمى (أتلانتيك) تحت خط الاستواء وطوله أربعمائة ميل وعرضه عند مصبه 180 ميل وعمقه 175 باع وهو يدفع الماء المالح قدامه ويقتحم بمائه العذب داخلاً على البحر إلى مسافة بعيده، وفيه غرائب من الوحوش البحرية وموجود عندهم نحو 40.000 من العساكر البرية والبحرية ونحو 85 من البوابير والسفائن الحربية والتجارية، وعندهم مكاتب ومدارس وعلوم صناعية، وتتعاطى دولتهم معاملة الورق، لقلة الذهب والورق، وكان أولاً عندهم معادن منها وقيل قد نفذت وعليها مقدار عظيم من الديون، ومنها يستخرج حجر الألماس وسأذكر ذلك.

روي جنيروا أعظم مدن برازيليا

هي كرسي المملكة المرموقة، طيبة الهواء كثيرة المياه عجيبة البناء، محكمة على الوضعيات الهندسية، بساتينها شهية، ومتنزهاتها وفية، عرضها اثنان وعشرون درجة جنوبي، وطولها غربي خمس وأربعون مع كسور في الجهتين، شديدة الحرارة كثيرة الربح في التجارة، تجارتها بيد الغرباء، متينة حسنة البناء، وأهلها لا يعرفون زراعة الحنطة والشعير، وليس فيهم في معرفة ذلك خبير، بل يأكلون الفارينة، وهي لهم قرينة، وهي نوع من شجر يشبه الزان[1]، يستنبتونه داخل القيعان، وعندما يبدوا صلاحه يطحنونه، ودقيقاً يعملونه وهو رخيص الأثمان، واستوت على أكله الفقراء والأغنياء، ويغني عن الحنطة لأن به مادة نشوية، وسريع الهضم بالكلية، وهذا الداعي امتنع عن أكل خبز الحنطة مع إنه موجود في هذه البلاد لكنه جلب من غيرها وليس يستنبت في برها، والفارينة لاتكون خبزاً وإنما إذا وضعت على مرقة اللحم الحارة تصير أشبه بالعصيدة وتؤكل سفاً ومع الأرز ومع غيره، وغالب أكل الأهالي من لحوم البقر، وليس لهم بلحوم الضأن والمعز وطر، وتوجد أنواع الخضر ولكنها غالية يساوي عشرة قروش في أول نزوله قرن البامية، وغاية مايرخص القرن بربع قرش، وكل سوق له رئيس يمنع السوقة من الغش، وتمدنهم في غاية، لكن لم يبلغوا مابلغته أوروبا من درجة النهاية.

---

1 الخيزران

مقامة في محاكمة عقلية عند طوايف الإفرنجية

من المعلوم أن دول النصارى، قد أطلقوا الحرية جهارا، وليس عندهم فعل يزرى ويقتضي القصاص للإنسان، إلا مايقترفه من سرقة أو زناء قهري بغير رضاء وإذعان، أو قتل نفس أو جرح وماعدا ذلك فشأن الرجل ومايريد، وفاعل واحدة منها يقضى عليه بالقتل أو الحبس في التأبيد، وليس لهم كتاب يرجع إليه في أنواع ذلك، بل رجوعهم إلى ما تستحسنه أو تستقبحه عقولهم هنالك، ومن حكم له يسمى ربحان، ومن عليه يسمى خسران، وقد شوهد من محاكماتهم أن غلاماً اقتنص بكراً بغير رضائها، وماوجد أهله سبيلاً لإرضائها، فنصب له قومسيون [1] مخصص، وترافعوا إليه وكل منهم لدعواه قص، وأتى على ذلك مرة في المرافعة إلى أن أثبتوا على الغلام الفعل بدون الرضا، وأعلن بأن سيقضي على حتفه قضا، وخرج أبوه في ذلك اليوم باكياً، لم يجد نصير، ولا لخلاص مهجة ولده تدبير، فسأله أحد السوقة مصادفة، عن سبب بكائه، فأخبره بما تضطرم بأحشائه، فقال أنا أخلص ولدك من هذا الكدر، على أن تعطيني مقدار كذا من الذهب الأحمر، فرضي بما قال ولصكٍ بذلك على نفسه سطَّر، فذهب للحبس عند الغلام، وعلمه بعضاً من الكلام، ورجع أبوه على القومسيون، وقال ولدي لديه وكيل[2]، فقبلوا منه لأن عادتهم لا ينفذون أحكامهم ما دامت التعاليل، وحتى يقول الخصوم جملة، لم يبق عندنا عله، فحينئذٍ ينفذون

---

1 قاضي.

2 محامي.

أحكامهم العقلية، بعد الإعلان في الحوادث لسائر الرعية، فأعلن بنصب يوم آخر للمرافعة، حضر فيه البنت وأمها وأبوها والوكيل والغلام وأبوه معه، فلما كمل المجلس بحسن النظام، تكلم الوكيل مع الغلام، وقال أيها القليل الأدب الفاجر، أما كان لك في جمال طلعتك عن فعل الزناء زاجر، كيف أزلت بكارة هذه البنت الجميلة، بدون رضا منها ولا وسيلة، فتصامم فأعاد عليه فلم ير نفسه سامعاً فأعاد الوكيل ثالثة لصوته رافعاً وقال أيها الضئيل الأرقش، متى كنت أطرش، فلم يرد الغلام جواب، بل أظهر كفعله الأول غير مرتاب، فجاء الوكيل في بوق قد استحضره ووضعه في أذنه و كل من في المجلس باهت لفعله وفنه، وقال له بواسطة ذلك الصور ما إلا عهدناك سامع متى حدث عليك الطرش بين الأمور، فقال أنا في الأصل ليس بذي صمم، ويعرفني كل الأمم، وإنما حين أخذت بكارة هذه البنية، صاحت صيحة قوية، كأنها الرعد القاصف من عظم ما نالها من الألم، فكنت من هذه الصيحة راجف وعرض لي منها داء الصمم، فلما سمعت البنت ما قال قامت و قالت في الحال، كذب وحق المتعال، ما صحت لما أخذ بكارتي بل ناصتةً سفكت عبرتي، ولم يرث لحالتي، فقال لها الوكيل حفظ الله سيدة البنات لو صحتي لأحسنتي وخلصتي من الآفات، وهذا أكبر دليل على رضاكي، وعلاقتك بهذا العلق وهواكي، لأن الرجل أشبه بسارق، وحين يسمع الصياح يفر ويفارق، فصفق له الحاضرون، ومدحه السامعون، وثبت عند القومسيون رضاء البنية، وخلصت مهجة الغلام من القتل بهذه الحيلة الجلية وكلهم أعطوا الوكيل (براوو)[3].

---

3 لعله هدية أو شيء من المال

بعض فواكه غريبة

وبهذه البلاد شجرة غريبة بقدر شجر الجوز الكبير بل هي أعظم وتحمل ثمرة أكبر من اليقطين معلقة في بدن الشجرة وبدن فروعها الغلاظ وخارجها أشبه بجلد التمساح وداخلها كهيئة الرمان عيناً إلا أن الحبة كواحدة من التمر وداخل كل حبة نواة مثله وطعمه أشبه بحلاوة مركبة من الدقيق والعسل، وبها ثمرة اشبه بالسفرجل لوناً وقدراً وداخلها ليس به شيء يؤكل بل هي مثل السفنج مملوءة ماء ولها بزرة واحدة هي الفاصلة بينها وبين غصن الشجرة وذلك الماء يغلب عليه الحموضة فيحلونه بالسكر فيفعل بالفم كروح النعنع لكنه أبرد بالجوف منه وأنفع، وبها ثمرة أيضا أشبه بالعنب العنقود مقدار نصف رطل والحبة كالجوزة وخارجه شديد البياض وطعمه مثل اللفت، وفيها ثمرة كقدر التفاح وخارجها أخضر كظهر القنفذ وبعد تيبيسها تخلط مع القهوة فيظهر لها نكهة حلوة، وفيها ثمرة كعرنوس الدرا [1] ظاهرها كظهر الحية أحمر وباطنها مزُّ الطعم أصفر، ويتغالون بأثمانها وربما ساوت الثمرة نصف ريال، وهي شديدة الجمال، ومتى قطعت من شجرتها لا تستقيم أكثر من عشر ليال ولا يشك الرائي لشجرتها إلا أنها حاملة عرانيص درا مدلاة كالشعور مقشرة، ويمكن بها خمسين نوعاً من الفواكه ليس لي في بلاد المشرق منها إلا العنب والرمان وجوز الهند غابة مبتذل بها ورخيص الأثمان، والغالب ينبت لنفسه في بعيد القيعان، وما نقل من أن أصلَ شجرة بزرة غرست في دماغ بني آدم أظنه من قبيل خرافات الأمم، والله تعالى أعلم.

1 الذرة

الهيش المتصل من برازيليا إلى جنوبي أمريقا

وبهذه الممالك هيش[1] مشهور، ليس مافي باطنه مخبور، لكثرة مياهه والتفاف أشجاره وغريب وحوشه وشدة أخطاره، لو سار الراكب المجد بمحاذاته شهراً ليلاً ونهار، لما بلغ نهايته والمقدار، وكذلك بالعرض كما نقل عن سكان تلك الأرض، وتخرج في بعض الأوقات منه حيات كبار، عظيمة المقدار، ونقل أنها تبلع الثور الكبير، وتضر بالأهالي الكثير، وعندما يمتلئ جوفها من الطعام، تأخذها سنة المنام، فتكون كالتل العظيم، فيبادر إليها الأهالي بجمع جسيم، ويطلعون على الأشجار ليلاً كان أو نهار، ويضربونها ببنادق الرصاص في رأسها، ويلحقونها بماضي أمسها، ومن جلدها يعمل الفلاحون قلنسوات، ونعال وفوق الثياب مطريات، في المثال غريبات، ويتغالون بأثمانها، لبعد فنائها، ورأيت جلداً من جلود هذه الآفات يباع، فكان عرضه ستة أذرع وطوله ثمانية عشر ذراع، وقيل لي جلد صغير، والذي تبلع الثور أعظم منه بكثير، وتلك النقط التي تكون على هيئة قشور السمك في ظهر الحيات، الواحدة في ذلك الجلد مقدار شبر في الطول والعرض فجل الخالق ما يشاء ومايختار، المنزه في أفعاله عن العبث والأغيار، ويرى في ذلك الهيش عن بعد في الليل أضوية كالمشاعل ويقال أنها نور ذهب وجواهر، وفيه سباع كاسرة ،من جنس النمر والفهد وأنواع القردة الصغيرة، والوحوش الغريبة ما لو شرحته لكال الأمر وفي هذا القدر كفاية.

---

1 غابات البرازيل المشهورة.

الأمم المتوحشة من بني آدم في أمريقا

وبهذه الأراضي أمم من بني آدم من أصل أهالي البلاد الذين لم يتمدنوا ولا دخلوا تحت طاعة، ولا قدر ملوك الدول على حربهم لأنهم لا يطيقون دفاعه، ساكنون داخل الهيش والبراري، متظللون بظل الأشجار كالحبارى، عراة الأجسام، ذوي هياكل عظام، وبأقدامهم غلظة زائدة، وعن نسبتها لأجسادهم حائدة، ونقل لي أنه حين نزول المطر كل منهم ينكس رأسه للأرض ويرفع رجليه، ويجعلها كالشمسية وقايه عليه، فيعملا ما تعمل ويمنعا عن صاحبها البلل، ورأيت منهم البعض وقد ألقى عليهم القبض، من عساكر تلك الأرض، فتحيرت من عظم أقدامهم، وشدة إقدامهم، لأنهم وسط العساكر، مشددون بوثاق ذاعر، ويبدو منهم هجوم عجيب، يكاد للقلوب يذيب، وطول أقدامهم ثلثا ذراع وثلث عرضاً بالتقريب، ونساؤهم في غاية الجمال وشعورهم إلى تحت الركب، يغلب عليهم لون الفضة والذهب، وليس لهن لباس سوى هذه الشعور وشعر العانة هو ستر عورة الذكور، وليس لهم صناعة سوى السحر والكهانة، وليس مابين بعضهم أمانة، فقط فيهم الحدادون لأجل عمل النشاب، ويعرفون باستخراج الحديد من التراب، وقوتهم من الطير والسمك، يأكلونها نياً بلا نار وليس لهم سواها أكلاً قط، وكان في ابتداء مجيء السودان إلى بلاد أمريقا إذا قبضوا على أحد منهم شدوه وثيقا وبعدها يأكلونه إلى أن كثرت رؤيتهم لهم وعرفوا أنهم من بني آدم مثلهم فحينئذ كان فعلهم، إذا قبضوا على إنسان

أتوا به إلى الماء وغسلوه وبالأحجار فركوه، ويقولون إن هذا السواد وسخ على البدن مكتسب، وحين يرونه ماحل بالماء ولا ذهب، يزدادون بالعمل إلى أن يلحقون ذلك العبد بالأول، وهم يضحكون من شده صياحه، وكثرة نواحه على نواحه، وعام 1268 هجرية وقع بأيديهم واحد من السودان، فأحببته امرأة من أجلاء النسوان، فحمته من هذه الطوائف، وأمنته من هذه الرواجف، وماأكلوه ولاغسلوه، بل بتلك الواسطة أكرموه، وبقي خداماً عند زوجها اثني عشر سنة، إلى أن أنطق الله تعالى بلغتهم لسانه، ولنصحه في خدامتهما أذنا إليه بالمسير، وتعطفا عليه بإعطاء بعض العقاقير، لأنهما شديدان المعرفة بالحشايش والنباتات، التي تطلع في تلك الخلوات، فأتى ذلك العبد إلى روي جينيروا وتعاطى فن الحكمة ومعالجة الأبدان، فبرع بهذا الشان، وداوى المرضى و ابرأ العضالات والزمنا، بغرائب أدوية دقت عن أفلاطون وبن سينا، وهو الذي نقل عن أحوال هذه الوحوش والغرائب، وماأشرنا إليه من العجائب، وقد اجتمعت معه و سألته عن من يسوس أمرهم، ويرجع إليه حلهم وعقدهم، فقال أشدهم سحراً أنفذهم أمراً، وليس لهم دين يرجعون إليه بالكلية، ولا تفاخر بمتاع الدنيا الدنية، بل تفاخرهم بجميل نشاب وقوسٍ وحراب بهية، ووحوش غريبة وكواسر من الطير، يقتنونها فتحرسهم وتجلب لهم الخير، وتكلم أمامي بلغتهم فإذا هي كصفير الطيور، وكم خطر لي الذهاب إليهم لألقي دين الإسلام عليهم فيمنعونني المسلمون، ويقولون لي إن هذه الأمم لا يقبلون، سيما ولا تعرف لسانهم، فربما يبطشون فيك، فدع ما لا يعنيك، لئلا ترى ما لا يرضيك.

منام عجيب جداً

ومما وقع لهذا الداعي أنه من قبل خمسة عشر سنة، في ليلة والنوم أسبل عليَّ والسنة، رأيتُ ما يرى النائم، أني في كنيسةٍ قائم، كاشفاً عن رأسي مثل النصارى لابساً لباسهم لا أتوارى، متمثلاً بين يدي الصورة، التي هي رسم ذات عيسى المطهرة، ومعي أقوام، أقول لهم قولوا قل هو الله أحد الله الصمد الخ، فقمت مرعوباً من هذا المنام، وقصصته على أصحابي فقالوا أضغاثُ أحلام، ولكن احذر من الذنوب، فإنها مشوهة للقلوب، وبعضهم قال غير ذلك والله تعالى أعلم بما هنالك، ثم وهذا الداعي بهذه البلاد في اليوم الذي يصادف به رفع عيسى ابن مريم عليهما السلام وهو اليوم الذي يعتقد الخرستيان به صلب ذاته المشرفة نزل إمبراطور برازيليا إلى الكنيسة العظمى عندهم وصحبته البترك الكبير وهما بالألبسة التي يظهر عليها الحزن وجميع العساكر والمراكب منكسين البواريد [1] والإشارات وجميع الأهالي كذلك بادين الحزن والكآبة، أرخى عليهم البكاء جلبابه، وقد أخبرني بعض المسلمين، عن أعجوبة ذلك اليوم المهين، فكنت للاطلاع على ذلك من المبادرين، وذهبت مع جملة من المسلمين، كل منا عليه لباس الإفرنج فدخلنا إلى الكنيسة فرأينا الإمبراطور والبترك وقوفا على يمين ذلك الصنم، الذي هو بالفضة والذهب معلم، ثم أشاروا له بالسجود على ركبهم باركين، رافعين أيديهم كالمستجيرين، وأظهروا هيئة العبودية لتلك الصورة

---

1 البنادق

الرسمية، فلما رأى هذا الداعي فعالهم فاقشعر مني الجسد، وقلت لرفقائي قولوا قل هو الله أحد، الخ وذلك سراً مرةً بمرة، وفي ذلك الوقت تذكرت ذلك المنام، الذي رأيته قبل هذه الأعوام، فكان عين اليقين، بلا شبهة ولا مين، ثم خرجنا إلى أن تم ما أبدوه من هيئة العبودية، وعدنا ثانيا لننظر تمام هذه القضية، فرأينا البترك الكبير صعد لمحلٍ شديد الارتفاع، وأطال التكلم والاختراع، فلكوني عنه بعيد، ما فهمت ما يعيد، إلا بآخر كلامه قال الآن قد مات، وطبق الكتاب وتصاعدت منه الزفرات، وأخرجوا ذلك الصنم بالاحتفال ومشوا به إلى غير كنيسة، وبات الأهالي بتلك الليلة في ثكلة نحيسة، وفي ثاني الأيام أتى ثانياً الإمبراطور وجميع الرؤسا والعساكر في هيئة بهية إلى أن دخلوا الكنيسة المومى إليها وصحبتهم نحو مئتا بنت من بنات أكابرهم لابسين أجمل الألبسة الفاخرة، ممنطقين بمناطق مذهبة وبعضهن مجوهرة، وفوق اللبسة أجنحة من ريش الطواويس، يتمايلن في الحركة على أصوات الموسيقات والنواقيس، لا يشك الرائي لهم بأنهم ملائكة وصعد البترك لمحلة بعدما أجروا كفعلهم الأول وتكلم إلى أن قال الآن وجد حيا وطبق الكتاب وأعطوا العلامات، فضربت المدافع من كافة المحلات، ورفعوا البواريد المنكسة و الإشارات وأخرج البترك لذلك الشخص الذي يعنون عنه بعيسى وأمه معاً وحملوهما على أعمدة من الفضة نفيسة، ودقت الموسيقات والإمبراطور ماشي واحتطن تلك البنات المذكورات بوجوده كالأقمار مسفرات، خلعن العذار كأنهن أمنّ من خوف رقيب وواشي بتلك الصورتين كأنهن الغزلان المسربة، تجاههن المباخر المذهبة، ومشوا بهما إلى الكنيسة الأولى وكلهم بالطرقات كاشفين الرؤوس متزينين بأعلى ملبوس.

مدينة أبائية[1] أحد مدن دولة برازيليا

ثم انتقلت من روي جنيرو، إلى بلدة أبائية بتشديد الياء المفتوحة على وزن عربية، وذلك لأنه أتى رجال منها لطلبي وهي قليلة البر، واسعة البر، شديدة الحر، عرضها جنوبي سبعة عشر درجة وكسور، وطولها غربي ثمانية وثلاثون وكسور، إصطلح أهلها على أكل الفارينه مثل البلدة الأولى وفيها بستان فيه قفص من الفضة كبير، مشحون بجميع أنواع الطيور المغردة وماؤها غذير، وفيها منشأ الطير المسمى ببغان، ومنها يباع لجميع البلدان، وأتوا إلي ببطائر منها فعلقته عندي مدة من الزمان، وتكرر سماعه الأذان، مني فحفظه بالعيان، لأنه سريع الفهم والتقليد، ولا يجيب عن الماضي بالتأكيد، ونقل لي أنه وجد من هذا النوع ما يحفظ الماضي ولكنني ما رأيته، وبهذه البلدة خليج عظيم عرضه ثلاثين ميلاً بين جبلين، وطوله مائتين، ومنه يصطاد الحوت الكبير المسمى عندهم (بالية) علة وزن ماهية بتشديد الياء ويباع الكبير منه بنحو ألف ليرة، وبدون ذلك تباع الصغيرة، وقد اصطيد واحد فركبت في البابور وذهبت و تفرجت عليه، فرأيت حيوانا عجيباً، رأسه لنصف جثته تقريباً، وسمكه نحو ثمانية أذرع و طوله نحو ثلاثين ذراعاً وله من نفسه أقوى دفاع سيما إذا اصطيدت أنثاه في الأول فإنه قد يكسر المراكب وعن خلاصها لا يتحول ويخرج من دماغ هذا الحيوان مقدار أربعين برميلاً من الزيت ومن بعضه ما يخرج أكثر كما شاهدت ذلك الأثر وجميع الذين يصطادونه بالأجرة عند التجار ولهم في صيده من الحيل ما يبهر الأفكار.

---

1 مدينة باهية BAHIA التي تقع شمال ريو دي جانيرو بألف كيلو متر تقريباً و كانت أول عاصمة للبرازيل.

بعض أحوال المسلمين في أبائية

في هذه البلدة من المسلمين أكثر من الأولى غير أن رغبتهم أقل من جهة التعليم وأحوالهم من حيث الجهالة كمثل أصحاب الأولى طبقاً فقط عندهم زيادة، من أن الرجل إذا أراد فيما بينهم الزواج اختار ما ترضاه نفسه من بنات أمثاله ووضعها عنده، ويمضي على ذلك من الدهر مدة إلى أن تأتي منه بأولاد فإن ظهر بعد ذلك منها أنها كاتمةٌ لسره، مدبرة لأمره، وذات مودة له عقد عليها وتسمى زوجته، وإن رآها لم تسر كذلك بحسن المسالك يعني ما أعجبته يرسلها مع أولاده منها إلى أبيها ولا يرون ذلك فظيعاً ولا كريهاً فأول ما بدأت به في هذه البلدة، إزالة هذه الخمدة، وصرت أستحضرهم شيئاً فشيئاً و يتوب الرجل مع المجربة التي هي عنده واعقد لهما عقداً بمهر وأعلمتهم أنه يجوز في دين الإسلام الطلاق، وعلمتهم كيفية الفراق، إن احتيج إليه على قدر الإمكان، وصمت بهذه البلاد رمضان، وحصل من المسلمين رغبة في صلاة التراويح وصليتها بهم عشرة ركعات قصد التسهيل عليهم ونساؤهم كنساء الإفرنج غير مستترات وكانت المرأة منهن إذا مات من يعز عليها مثل زوجها أو أبيها أو أخيها تذهب على الكنيسة وتتصدق على الرهبان قصدا أن يقرؤوا الإنجيل ويهبوا لميتها الثواب وقد أزيلت بكم جمعية جمعتُ بها النساء وتلاطفت بنهيم عقلاً وأغلب أولاد المسلمين في هذه البلدة يخرجون نصارى لأنهم لما يعوا على الدنيا وينظرون احتفال النصارى بالكنائس، وكثرة البتارك

والقساقس، ودق الموسيقات، وجمال الحركات، ويرى الولد لأبيه فقط، مخالف لذلك النمط، فيعتقد كذب أبيه ويلحق الجمهور، ويسلك الفساد والفجور، فأشرت على بعض المسلمين أهل الغناء بحبس أطفالهم إلى تمام رشدهم وتعليمهم ففعل البعض ذلك، وأقمت بهذه البلدة نحو سنة لا شغل لي غير تعليم المسلمين وتهذيب أخلاقهم على حسب الوسعة والإمكان.

مقامة في نكتة غريبة وواقعة عجيبة

غلام من أولاد الأكابر، ذو جمال وافر، وقدٍّ سمهري زاهر، علق بعلق مثله في الجمال، كيس الهيئة حسن التمثال، فصرف عليه ما يحتاجه من المال، وقرن اجتماع النهار معه بالليال، فيما تشتهيه النفوس، من بكرٍ عتقها الخصوص، وظبية تخجل الشموس، إلى أن أتلف جملة من الأموال، ولم ينتبه لتقلب الليال، فحين بالغ في بالتبذير، بادر والده عليه في التقتير، ومنعه من ذلك فما امتنع، وقاده العشق والولع، فأمسك عنه أبوه المال، إشارةً من بعض عقلاء الرجال، وقيل له إن الإفلاس، دواءٌ لفساد الحواس، فألح الغلام على أبيه في الطلب، فشدد في منعه الورق والذهب، فمرة بعد أخرى، طلب منه قهراً، فلما رآه لم يجب ما طلب، أخذه الغضب والصخب، وبارد لضربه بحدته، ولم يرع لحق شفقته ومودته، فأصابه بعصاه فشج رأسه، وكاد أن يسكنه رمسه، فأعلن وصاح، وأكثر النواح، فأحاطت الجيران بالغلام من كل النواح، إلى أن قدمت الضبطية[1]، فأخذوهما لعند حاكم (أبائية)، وكان البترك الكبير عنده، وحوله من القسوس عده، فقال للغلام قد أوقعت نفسك في شده، وقد وجب عليك القصاص، ولات حين مناص، أيوجد في الدنيا والد ضرب من ولده، فقال نعم إن منعه من عطائه ورفده، لأني حديث السن، وأهوى الجمال والحسن، وقد صبوت للصبابة من الصبا، واتخذت اللهو والطرب مذهبا، وشربت الراح[2]، وواصلت الملاح، وقيل خير المال مابلغت النفوس به الآمال، أيريد والدي بجميع هذا المال،

1 العساكر أو الجند.

2 المقصود به الخمر.

أن يصعد للسماء أو يخرق الجبال، فاصنع ما أنت قادرٌ على فعله، فلابد لي من نكاله وقتله، فلم يرد البترك جواب سوى أمره بوضع الغلام في القيود، ووضع أبيه في ناحية مع الجنود، واستحضر أم الغلام فمثلت لديه، وأخرج الإنجيل ووضعه بين يديه، وقال لها أتعلمي ما هذا الكتاب، فقالت كلام رب الأرباب، المليك القادر الوهاب، فقال اعلمي أن من يحلف به باطلاً أو كذاب، يبوء بالاثم والعذاب، وينتقم منه الرب في الدنيا والآخرة، ويحرم الجنة العظيمة الفاخرة، ويخرج من دين عيسى وتغضب عليه الحواريون، وتقليه البتارك و الرهبان والشماسون، ولا يجد خلاص، من ضيق الأقفاص، ولربما يفلج أو يموت في الحال، وينزل عليه في الدنيا والآخرة أعظم الوبال، وأريد أن تحلفين بهذا الإنجيل وبما حوى من التحريم والتحليل، وبما أنزل فيه، أن هذا الغلام من أين اكتسبتيه، ومن هو أبوه فإنك تدري هذا وتعلميه، فتقاعست عن رد الجواب، واصفرت من شدة الخطاب، فزجرها بأعظم من الأول، فقالت أيها الأب وحق الأب الأول، إني لست بحالفة، ولا مقرة بما ارتكبته ولامعترفة، إلا إذا أنلتني الغفران، ووهبتني السماح والأمان، قال ذلك لكي، فلا تجزعي مما نالكي، فقالت وأنا في الصبا، خرجت للفرجة على نوار الربا، مع صويحبات كالبدور، مسبلات الشعور، رقيقات الخصور، فأبعدت عنهم لقضاء ما لابد منه، وما ليس لأحد غناء عنه، وغلغلت بين الأشجار، فلاقاني غلام قمهار، مولع بصيد الأطيار، فهجم عليَّ هجوم الآساد، وترك صيده وليَ صاد، فحملت منه بذلك الغلام، وهذا ماوقع لي بالتمام، فالتفت البترك للحاضرين، فقال إن مايتحققه العقل باليقين، أن الوالد له سطوة على الولد، وماسمع من ليده على ابيه الحقيقي مد، وفاعل ذلك لا ينسب لأبيه، وصاحب العقل التام يعلم ذلك ويدريه، وحالاً ألحق الغلام بأمه، وخلص زوجها من قهره وغمه، واثنى الحاضرون وأبدعوا في الشكر على البترك، وكل قبل ذيله وبيديه تبرك وأعطوا له(براوو).

شذرة شاذة

حدثني من أثق كلامه عن بعض أحوال الجين[1] بغرائب مالو شرحتها لطال الأمر، وأعجبها إنه قد اجتمع بواحد من أهلها قد تعلم لغة البرتكيز وتحادث معه مرة عن بدء الدنيا وعن نزول آدم فقال الجيني إن عمر الدنيا الآن سبعة عشر ألف سنة والدليل على ذلك أنه موجود في بلادنا مما ادخرته ملوكنا ووعيته أجدادنا، واصطلحوا عليه من قديم الزمان سبعة عشر عامودا يقال لها أعمدة التواريخ وأصل وضعها هو أن عند كل مضي ألف سنة يؤتى بعامود من الحديد الصيني الذي لايطرء عليه عدم، ولا يغيره تقلب زمن غلظه دارة ستة أذرع وارتفاعه من الأرض مثلها وكذلك داخل الأرض ويحرر عليه اسم ذلك الملك الموجود ورسمه وأنه قد مضى ألف سنة من العامود الذي قبله وينقل التاريخ الذي تصطلح عليه العالم في المعاملات مثلاً يقال حرر في سنة كذا من العامود السادس عشر وعند تمام الألف يوضع السابع عشر وينتقل التاريخ فيقال في سنة كذا من العامود السابع عشر حرر،فقلت لمحدثي هلا قلت له إن هذا الكلام باطل، وقد ذكر المؤرخون أن بني آدم لهم في الدنيا نحو سبعة ألف سنة وكسور وقبل آدم ليس موجود من هذا الجنس أحد، فقال قلت له ذلك وأخبرته ببعض ما ذكره المؤرخون فقال نحن موجودون قبل آدم ونقل مؤرخوا بلادنا أن آدم نزل في بلادنا وأرسل منها ليعمر هذه الجهات وجميع هذه القطع من

---

1 أي الجن.

الأرض هي من أولاده ماعدا أهل الجين فإنهم ليسوا منها، وقد رأيت في بعض التواريخ أن قبل سكنى الجين في الدنيا أسكنها الله تعالى طوائفاً يقال لها الحين، ومكثوا في الدنيا جملة سنين، وبعدهم كانت الجن لها من الساكنين، ومما يظهر اتحاد لفظ الحين والشين، أن أهل الجين هم من هذه الأمم ويؤيد قول ذلك قول ذلك المحدث قول ذلك المؤرخ ويعارضها الأقوال الظاهرة، ويعلم حقيقة ذلك رب الدنيا والآخرة.

مارنميوكوا أحد مدن برازيليا

ثم سافرت من أبائيه إلى مدينة (مارنميوكوا) لرغبة المسلمين الذين بها فيَّ وطلبهم إيَّايَ، وهي بلدة أشد حرا من البلاد الأول، وعرضها ثمانية درجات من خط الاستوي والشمس لو طلعت دائما لأحرقت السكان، ولكن من حكم الواحد المنان، دائما توجد الأمطار ولا يخلو يوم عن مطر وإذا لم تكن فالغيم يكون، وكنت في دار عالية مرتفعة لأجل الهوى ومع ذلك أغتسل كل يوم مراراً بالماء البارد، وفي هذه البلدة جسر من الحديد، فوق خليج مديد، طوله نحو ميل وعرضه نحو خمسة عشر ذراعاً وهو أعجوبة للرائي، وكافة الأهالي لا يتعاطون الأعمال في النهار والذين يتعاطون المصالح السودان لأنهم لهم تحمل على شدة الحرارة والبيضان بخلاف ذلك، وجميع الأهالي تجار عظام وعندهم الفابريقات[1]، ولهم معرفة شديدة بالصناعات، وفي هذه البلدة عدة حصون وقلاع واستحكامات.

---

1 كلمة برتغالية تعني المصانع.

أحوال المسلمين فيها

ورأيت المسلمين في مارنميوكوا أشد نباهة وفطانة من أهل البلاد الأول ففرحت بذلك ويقتدون برجلين الواحد اسمه يوسف حديث السن ونبيه جدا والثاني اسمه سليمان بعكسه حتى ما صدق في رجوع رمضان الذي أعلنا به روي جنيروا وردناه لوقته الصحيح ولم يزل يصوم شعبان وله قوم به يقتدون وعلى إتباعه يلازمون وأحوالهم في الصلاة والصيام كأحوال الذين قبلهم ولهم ميل شديد لعلم الأوفاق وضرب الرمال اوالزايرجات وبسبب ذلك تسترهم أقل من البلاد الأول لأن النصاى يعتقدون عليهم غاية الاعتقاد، ويصدقونهم فيما يظهرونه من الإيراد، ويعطونهم الأموال ويعدون خواطرهم في جميع الأحوال مع أنهم لا يعرفون مما يدعونه إلا الاسم ولكن يصادف معهم بعض الأوقات القضاء والقدر فينسبوه لفعلهم، ولما أحكموه من أمرهم، وفي مدة ستة أشهر ظهر فيهم أهلية أحسن من الذين مافارقوني في طول مدتي.

غرائب شاذة

و قد أخبرني غير واحد من السودان عن أحوال بلادهم في أفريقية أن عندهم بطاطه بمقدار الرجل من بني آدم ورأيت في مارنميوكوا بطاطا تنسب إلى إفريقيا بمقدار ابن سنتين فظهر لي بعض صدق المخبر، وأخبرتُ أيضاً أن في بلاد السودان ملك هو أعظم ملوكها وأشدهم قوة، وله في كل سنة موسم عظيم تجتمع فيه المتفرجون من سائر الأقاليم، يصادف به اليوم الذي مات فيه من قبله من آبائه الملوك، ويجمع فيه سائر خدامه وعساكره ومن يلوذ به من عشيرته ويقف وسط هذه الأمم، ويقول من يذهب لعند والدي يخدمه وأنا أكون الممنون من ذلك فيتقدم البعض من رؤسا العساكر وأرباب المناصب فيقول أحدهم أنا أذهب لعند والدك وإني كثير الشوق إليه فيقول له أمدد راسك فيمده فيشير إليه بالسيف فإذا اختلج أو رج قطع رأسه وإن لم يصدر منه أدنى حركة أعرض عنه ورفع مرتبته ولم تزل الرؤسا والعساكر يتقدمون وهو يفعل كما ذكرنا إلى أن يذبح ألفاً من الرجال يرسل أرواحهم خدمةً لأبيه ويعول بأولادهم إلى استئناس رشدهم، وهذه سنة جارية عندهم من قديم أزمنة ويروها مستحسنة وهذا الملك إذا أراد أن يغزوا لملك آخر أمر بذبح بقرة وفرش جلدها وأمر عساكره بالمرور عليه فإن تقطع من كثرة دعس أرجل المارين غزا، وإن لم يتقطع قال عسكري قليل فيأمر بجمع الرعايا أو يرجع عن مقصوده، ويطعم عساكره الدرا الصفرا مسلوقة ويميز الضباط عن الأنفار بالمعالق وغالب أهل هذه البلاد يركبون النعام

والزرافات ويقاتلون على ظهور الأفيال وعندهم معبدٌ فيه صنم من الذهب وحوله اثني عشر صنما صغاراً كأنهم الأولاد حول والدتهم وفي كل ساعةً يقوم واحد منهم وبعض مضيها ينام ويقوم آخر وهكذا يتعاقبون في الليل والنهار، وغالب أهالي هذه البلاد يعبدون من دون الواحد القهار، وموجود فيها جماعة من المسلمين وهم عند ذلك الملك مكرمين، إلا أنه ليس على دينهم وبالقرينة فهمت من الناقل أن سبب تعظيمه إياهم أنهم يتعاطون الكهانة، ومنه نالوا عنده تلك المكانة، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، وإليه المرجع والمآل.

لغة بريانتي محل حجر الألماس

ومن مارنميوكوا يذهب إلى بليدة (لغة بريانتي) وهي عن خط الاستواء أربع درجات، مستجدة في الفلوات، أصل من بناها من التجار لكون الحجر الألماس يستخرج من أرضها، وغالب سكانها الأرقا، ويوجد بها شرذمة من العساكر لأجل المحافظة والتجار يشترون الأرض من الدولة على طريقة المساحة المربعة وليس لهم حد في العمق والتاجر لا يفارق خدمه وأرقائه الذين يحضرون إلا في يوم الأحد فإن ما يخرج فيه لهم من ثمنه يكتسون ويقضون مصالحهم وهو عرق أشبه بعروق الملح يمتد في الأرض المرملة ويصادف بغاية من العمق فيتتبعونه وقد تنقض عليهم الجدران فيهلكون ويوجد كذلك في بعض مجاري الأنهار وداخل الأحجار وأحسنه الرملي وصادف عبد جاء لتاجر بحجر فباعه إياه بثمن قليل بعد ما أسقاه المدام بكثرة وذهب التاجر إلى ريوجنيرو فباع الحجر بمية ألف ليرة والذي اشتراه باعه بمثل ذلك مرتين وما خرج في هذه البلاد نظير له والعبد البائع قتله سيده أشرها قتل ومنها أعلنت الحكومة من أن العبيد والحفارون لا يبيعون ما يخرج إليهم في يوم الأحد إلا لسيدهم وهذه الأرض ماؤها بعيد جدا وتنقله البوابير لها ويباع بثمن وفيّ على أن المدام عندهم أرخص منه كما نقل والله أعلم.

العودة للأوطان

وبما أنه قد تقررعند ذوي العقول وأرباب الفطرة أن من الإيمان حب الوطن مع ماشاهدته من التأثر على هؤلاء المسلمين، وغربة هذا الدين، جذبتني أذمة القضاء والقدر، وحركتني دواعي الأرق والسهر، واشتاقت نفسي لسماع الأذان، ونظر المساجد والخلان، فاستأذنت المسلمين ووعدتهم بالرجوع، إن أرسلتني الدولة العلية العثمانية لتلك الربوع، وخرج لوداعي جمع عظيم قدموا من سائر الأقاليم وما كلفت المسلمين شيئا في هذه المدة سوى ماأكلته وما شربته، وقهرا عني دفعوا أجرة الوابور الذي ركبته، وتوجهت قاصدا للبلاد الإسلامية ولنذكر شيئا مما شاهده العيان في العودة.

ليزبون[1]

كرسي مملكة البورتكيز بني بابها في مدة ثلاثين سنة وهي أعجوبة من عجائب الدهر وقدام الباب تصويرة الإمبراطور الباني راكب على حصان من الحديد وإتقانه للغاية جميل حتى نقل لي أن فرانسه لما ملكت هذه البلدة من البورتكيز وقع الصلح على دفع مصاريف عساكرهم ويخرجوا منها رضيت الفرنسيين عن جميع مصروفها عوضا أخذ ذلك الصنم المشار إليه فما رضي البورتكيز بذلك ويوجد بها من الفواكه والبقول والصنائع ما ليس بغيرها وهذه الدولة صغيرة وقوتها قليلة.

1 لشبونة عاصمة البرتغال.

قرطبة أحد بلاد الأندلس

وصلتها بطريق البر وهي أجمل بلاد الأندلس ومقر ملوك الإسلام السالفة وفيها المسجد الكبير المشهور ونقل المؤرخون أن فيه أربعمائة سارية ولم أر ذلك ولعله تغير عن أصله والآن هو معبد الاسبانيول[1] وسكن سلاطين الإسلام باقي إلى الآن وهو سراية غاية في الإتقان طليت بالذهب أطرافها وأشرقت بالرونق أكتافها مكتوب على بابها في الخط الكوفي القديم الملك لله الواحد القهار وعلى حيطانها أبيات وموشحات عربية والإسبانيول لهم بها غاية الاعتنا في الخدمة والتنظيف وهي عندهم محترمة لايسكنها سوى حراسها وهي على رأس جبل لا يشك الناظر إليها بخروج البنائين منا الآن وفيها سردابين نحتا في الحجر الواحد يخرج منه من أسفل الوادي والثاني لا يعرف آخره وفيهما بعض محلات قيل قد كان بها طلسمات[2] تمنع الداخل والخارج وقد أزيلت وفيهما من الصناعات الهندسية، ما يبهر العقول الوفية، وتعجز عنه الملوك القوية، وهذا يدل على قوة الملوك السالفة بها وشدة حرصهم على حماية محلاتهم وبلادهم ولاينفع الحرص والحذر إذا انقض القضاء والقدر ونساء هذه البلدان أفصح من الرجال لهن البلاغات في لسانهم والأشعار والموشحات وماؤها وهواؤها في غاية اللطافة .

---

1 الأسبان.

2 كلمات وألغاز سحرة.

جبل الطــارق

أول من ملكه من الإسلام طارق بن زيد وسمي به وفيه محل قبره يزار ودولة الإنكليز أحاطوا ذلك الجبل بالقلاع العظيمة، والاستحكامات الجسيمة، وخرقوا ذاته وملأوه بالمدافع والبلدة في أسفل الجبل وليسل لها بر سوى قطعة متصلة في بر الأسبانيول من جهة وحراس الإنكليز والأسبانيول واقفون على الحدود دائما وقد حفر الإنكليز بهذه القطعة سردابا عظيماً وملأوه بالبارود والتقدير متى غلبهم العدو أحرقوا ذلك اللغم فيقلع هذا البر المتصل ببر أسبانيا ويكون البحر حينئذ محيطا بالجبل من سائر أطرافه ويوجد فيها مايكفي أهلها سبع سنوات من البر وغيره وأهلها تجار عظام من ساير الطوايف ولكون دولة الانكليز رفعت الكمارك[1] عن الداخل إليها والخارج منها تراها مزدحمة بالتجار وتقصد من جميع الأقطار وفيها قنسلوس إلى السلطان محمد ملك فاس اسمه الحاج سعيد الجسوس وليس له قنسلوس غيره وهو رجل بشوش الوجه مكرم لأبناء السبيل وفي بيته جامع تقام فيه الخمس ورأيت عنده رجل من أهل الجين فيه جراح بالغة وقد رتب له الجراحون والحكماء لمعالجته واعتنوا بمداواته فسألت القنسلوس عنه فقال قد لأرسله السلطان من حضرة فاس وأمر بإرساله إلى بلاد الهند وها نحن منتظرون صحته متى شفي أرسلناه ولا أدري غير ذلك، وتعطف الباري عليه بالشفاء وهذا الداعي هنالك، فتحادثت معه مرة فرايته إماماً في العربية ونقل

---

1 الجمارك.

لي أنه في أهل الجين كان في غناء مبين دار عليه فلك زحل مرة، ورماه الأنكيس ببؤس الحمرة، فاضمحلت أحواله، وذهبت أمواله، فصار كالواله المجنون، تركه المحبون، ودعسه المبغضون، فشكا حاله وعدم صبره، ولم يجد كاشفاً لضيره، فأشار عليه بعض أصحاب العقول بأن يذهب لمدينة في أقصى الجين، وأخبره أن بها أستاذ من الأولياء المتصرفين، فلربما يتعطف إليه بالدعاء، ويكسب منه صالح الآراء، فذهب إليها وسأل عنه فقيل في الجبل، فأتاه فرأى رجلاً كبير السن مبجل، ماعليه من الثياب سوى ساتر العورة وجالس على التراب، فوقع على رجليه وبكى، وبما وقع له اشتكى، فقال أعندك شيء من الدراهم قال أجل، فأمره أن يشتري بها نحاساً ففعل، ولما كان وقت العشية، أمره بكشف حفرةٍ كانت تحته مخفية، وأخرج منها كوراً أو بوادق كبار، وما يحتاج إليه من آلة النار، وأذاب ذلك النحاس في الحال ووضع عليه بعض أشياء، وسبكه ذهباً خالصا بلا رياء، وقال خذ هذا واستعن به على وقتك فوقع على رجليه يقبلها، وطمعت نفسه في تعلمها، فلما علم منه الطمع، أخذ عكازاً من جانبه ورأسه بها قنع، وقال أما يكفيك هذا الذهب، حتى تطلب أن تتعلم سراً من أسرار مانح الوهب، فخذ ماآتيتك واذهب، وإلا أخذته منك ياقليل الأدب، فأخذه وباعته في سوق البلدة يده، واحترق على هذه الصنعة كبده، فكان مجموعه نحو ثلاثة آلاف ليرة، وتعلق في هذه الصناعة الحقيرة، وصار يصرف عليها من ذلك المال، إلى أن أتى على نصفه ولم يبلغ الآمال، فقيل له أهلها في الهند فأتاها فلم يرى إلا أهل الغش والكذب وقيل له أهلها في الغرب، فأتاها وطاف مدنها وقراها، فلم ير إلا ما رآه من الكذابين والغشاشين، وأصحاب الدعوة الباطلة المضلين، فسافر من مراكش يقصد فاس، فخرج عليه قطاع الطريق وردوه لما كان فيه من الإفلاس، وجرحوه في جملة مواضع،

اشرف منها على الهلاك الناقع، فحنن الله عليه من أوصله إلى فاس، ومنها بالالتماس أرسله السلطان محمد إلى جبل الطارق وأمر بإرساله إلى الهند وعين له مايكفيه في الطريق، ولعمري إن هذا الرجل قد طلب ما لا يدرك لأن هذا الفن غير صحيح، وليس له وجه صريح، وقد ذكر الإمام العلامة بن عابدين في حاشية رد المحتار على الدر المختار في ذهاب بعض القوم إلى صحته وجواز قلب الأعيان جملة أقوال، فمن أرادها فليراجع هنالك.

مدينة طنجة

هي بلدة رخيصة جداً معتدلة الهوى كثيرة البساتين والجناين، أبنيتها أبنية أهل الآخرة وليس بها حصن ولا استحكام سوى قليعة على كنار[1] البحر فيها مدافع قديمة وأهلها على العهد القديم، وغالبهم حفظة للكلام القديم ولهم ملازمات للمساجد واجتماعات للقراءة وليس عندهم صناعة جميلة ولامعرفة جليلة ولامخالطة في الأجانب وإمام المسجد الكبير قاضي البلدة وهو دين ورع حيثما صادفه الخصوم جلس وقضي بينهم ولو في الطريق وليس له عليهم ما لقضائنا علينا والغالب في الأهالي الفاقة وثلثهم يهود إلا أنهم في غاية من الذل حتى إذا مروا على أبواب المساجد الإسلامية قلعوا نعالهم في الطريق ومن لم يفعل ضرب بها وقد استثني الآن من هذا الأمر من دخل في حماية القناصل وإذا صادف المسلم يهوديا في الطريق يقول له شمل يعني مر على الشمال فيفعل وإن خالف ضرب وغالب تجارتهم لجبل طارق وسكة السلطان التي بأيديهم قطع من الفضة والنحاس يظهر عليها بعض أحرف من الكتابة مآلها ضرب بحضرة فاس وليس لها هندام ولاصناعة لو قصد مقطوع يد تقليدها لهان عليه وفيها حمام يدخله الرعاع والعوام بلا سترة كالبهائم وأهل الكمال يغتسلون في بيوتهم ومحل إقامة وكلاء الدول في طنجة وليس في فاس نصراني ولاقنسلوس وسبب مجيئي إلى طنجة الحمام وما دخلته لقذارته وقبح ما ذكرته، ثم رجعت ثانيا لجبل

---

1 شواطئ.

الطارق ومنه إلى جزائر فرانسا والفرانسيز قد قد بذل جهده في عمارتها وتحصينها ويضيق صدري ولاينطق لساني عن أحوال أهلها، ثم منها إلى مالطه وهي جزيرة مفردة في الاستحكامات وفيها سراية الانتيكات وهو محل فيه جميع هيئات الملوك القديمة وعساكرهم وألبستهم وأسلحتهم مجسمة يظن الرائي لهم أنهم أحياء ومنها إلى إسكندرية إلى مصر إلى جدة إلى مكة المشرفة وبعد تمام ما منحه الرحمن، من أداء فرايض الحج والأركان جئت المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لزيارته والتبرك بتربته ومنها رجعت إلى دمشق الشام لرؤية العائلة والأولاد وهناك عدمت صحة المزاج ووقعت بمرض شديد عز له العلاج، وبعدها توجهت منها إلى أن وصلت دار السعادة السامية وحين ما ألقيت عصى التسيار، وقرّ بى القرار، نطق لسان الحال، صادقاً فيما قال :

سبحان من أوجد الأشياء من عدم	وأودع الكون أنواعاً من الأمم
وأطلق الخلق من قيد الخفاء ولم	تبرح أياديه تولى الكل بالنعم
إن البسيطة مملـــوء جوانبـها	بعالم ما لهم حد لحصرهم
والناس أجناس هـذا فاضـل وله	علم وآخر محسوب من النعم
وحكمة الله باللطف البديع لقد	عمت جميع الورى بالفضل والكرم
والمرء مازال والأقدار جارية	مقلب القلب للأفراح والألم
إني امرؤ من نبت بغداد هيجني	للشام شوق حثيث زائد الضرم
فرحت أقتحم الأخطار آونة	والعيس تنقط رسم الأرض بالعتم
وصرت أهفو إلى الأسفار من صغر	والأرض تلفظني لفظ النواة فمي
حتى أنخت مطايا الغزم مبتهجا	في جنة الأرض بالتحقيق في الأمم
دار السعادة حي الله ساكنها	وزادها بالمعالي أوفر القسم
فيالها بلدة يسلى الغريب بها	أوطانه وبها غنم لمغتنم

في ظل حامي حما الإسلام من بزغت ... أنواره فأزاحت غيهب الظلم
عبد العزيز الذي أيام دولته ... أضحت مواسم بين العرب والعجم
فكل يوم لنا عيد يجدده ... وجوده حيث عم الكل بالنعم
وكل قطر لقد عمته رحمته ... وكل حي به قد عاش من عدم
فالعدل والأمن والإنصاف عمهم ... والذئب كاد بأن يرعى مع الغنم
ومن مآثر علياه أوامره ... تلك البوابير للبصرى لحفظهم
وكان ما كان مما كنت أذكره ... عجائب ضمنت سراً من الحكم
أدامه الله طول الدهر منتصراً ... ما أم ركب لبيت الله والحرم
رجال دولته الغراء منه غدوا ... مستمسكين بحبل غير منفصم
تسعى لهم بالصفا حجاج راحتهم ... سعيا على الرأس لا سعيا على القدم
فرأيهم من شعاع الشمس مكتسب ... وعلمهم وافر بكل همام طاهر الشيم
يارب فأحفظ علاهم دائما أبدا ... واجعل شبا سيفهم ماض كعزمهم
واحفظ عساكر سلطان البرية من ... تثنى عليه الورى طرا بكل فم
بجاه طه الذي أيدته كرماً ... بالمعجزات بل المخصوص بالحكم
صلى عليه إله العرش ما هتفت ... ورق الحمام على غصن بذي سلم
والآل والصحب والأتباع أجمعهم ... وكل من ينتمي شوقا لحبهم

تمت

الفهرس

